

الفصل الثامن

أثر الفلسفة الذاتية

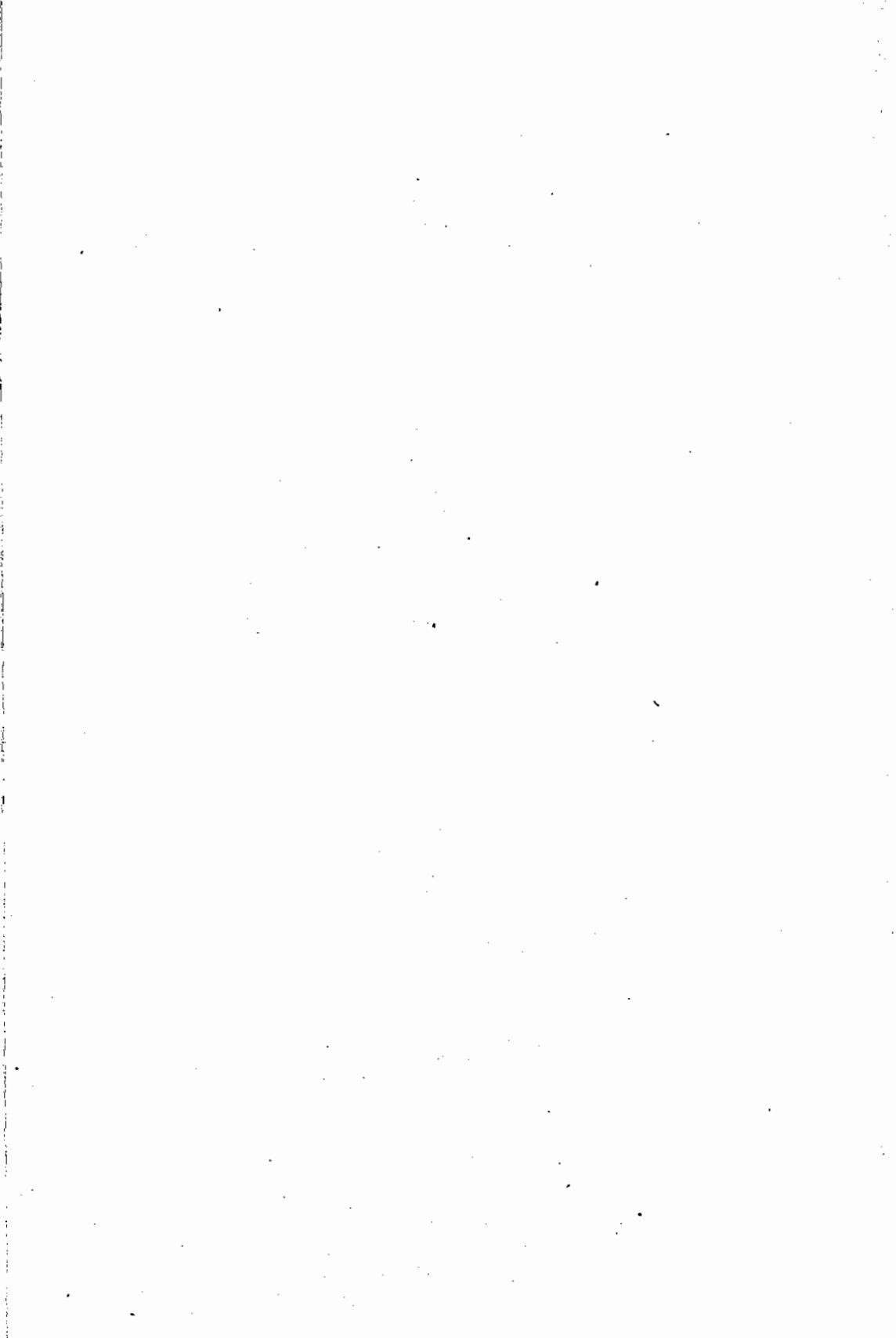
في العمل الأدبي العربي الحديث

في مصر

١ - الشعر الغنائي

٢ - القصة

٣ - المسرحية



أولاً - الشعر الغنائى

وفى مصر وجدنا شعراء جماعتي «الديوان» و«أبولو» قد تأثروا بالفلسفات الأوروبية الذاتية «المثالية» فى الجمال وآراء أصحاب الرومانسية الأوروبية وانعكست هذه الفلسفات والآراء على قصائدهم الغنائية .

وتجسدت هذه المثالية فى شعرهم الوجدانى الذاتى الذى صور أحاسيسهم الذاتية .

يقول عبدالرحمن شكرى فى قصيدته «شكوى الزمان» :

كفى حزناً أن التطلب بالصبر

وإن مآقى العين أدمعها تجرى

لقد لفظتنى رحمة الله يافعا

فصرت كأنى فى الثمانين من عمري

رضيت بهذا العيش بعد أبوة

لأبلغ شأوا أو أغيب فى قبرى

وحاول منى الهم صبرا فلم أزل

أدفعه حتى أبحت له صدرى

وإنى لأدرى أن فى الموت راحة

وأجنبه حتى كأنسى لا أدرى

ولولا تقى لا يملك اليأس صرفه

لأوردنى بأسى على المسلك الوعر

فما أسرع الأحداث أن قلت أبطنى

وما أبطأ الآمال إن سمها نصرى

فأن كان ذنبى من تناقض خطى
فعذرى إلى الأيام أن ضاق بى عذرى
ورب ليال بت أدهسو ظلامها
بطرفى وذيل الليل يعشر بالفجر
وزاولت صرف الدهر حتى عرفته
فسيان مالاقيت فى العسر واليسر
دعانى إليه الفضل لما دعوته
فما زال بى حتى التقينا على قدر
فما ساءنى ما بت أخفيه جاها
ولا سرنى ما يعلم الناس من أمرى
هل العيش إلا أن تنال بعزيمة
مقاما كأن النجم من تحته يسرى
فما العزم إلا ما يبلغك المنى
وما العجز إلا أن تنهه بالزجر
إذا كنت ذا عسر فكن ذا قناعة

فأن احتمال العسر يذهب بالعسر^(١)

فى هذه القصيدة نجد عبدالرحمن شكرى شاعر جماعة الديوان يعانى
القلق وتميزت أبياتها بالشجن والألم والشكوى .

ونرى الشاعر فى هذا العمل الأدبى وقد راح يعبر عن أحزانه وينظر
إلى الحياة بمنظار أسود فكانت أنغامه قائمة يغلب عليها طابع الحزن
والبيأس والتشاؤم .

(١) عبدالرحمن شكرى : ديوان عبدالرحمن شكرى ، الإسكندرية ، منشأة المعارف ١٩٦٠

وأنت واجد عبدالرحمن شكرى فى هذه القصيدة وقد سيطرت عليه
الهموم ، وفضل أن يكون بعيدا عن الناس ولا يخالطهم حتى لا يكونون
على دراية بمعاناته .

وهذه الحالة النفسية ينقلها الشاعر فى قصيدته «قلب اليأس» التى
يقول فيها :

ضاق قلبى بما يجـ	من ونفسى بما تشا
فهى كالبيت مغلق	نازح الأهل قد خوى
راكد الجو قاتم	فاسد الماء والهوا
يفزع المرء من صدا	ه إذا ردد الصدى
يحسب الجن قد ثوى	جمعها فيه ماثوى
أغير اللون عابس	مظلم الأرض والسما
ضاق صدرى بما يجـ	من ونفسى بما تشا
فهى كالبيت مفزع	يفزع الطرف بالدماء
أهلك النفس جارم	فاتك النفس ما ارعوى
أصبح البيت خاليا	مسكن البوم والدجى
يسمع العابر المجـ	د صراخا إذا دنا
أسكت القلب وقعه	روح الأمن والكبرى
ضاق صدرى بما يجـ	من وروحى بما يشا
فهو قبر لعالم	قبل ذا الكون قد مضى
كل روح وذيلة	تهب العين ما يرى (٢)
فترى العين ما يجىء	ويبدو الذى انقضى

كان كالكون واسعا لا يرى بعده مدى
قضى الأمر فانقضى بقى السعى والمنى
ضاق قلبى بما يجـ من ونفسى بما تشا (٣)

ونقول إن قصيدة «قلب اليأس» من الشعر المرسل ، وفيها تحرر
عبدالرحمن شكرى من وحدة القافية فوجدنا أبياتها متعددة القوافى
وكأنت على نمط الشعر الغنائى عند شكسبير وغيره من الشعراء
الرومانسيين الذين تأثر بهم الشاعر المصرى .

وفى القصيدة وجدنا عبدالرحمن شكرى يرسم صورة لقلبه اليأس ،
وجسد فى أبياتها ما يعانیه من آلام .

وأنت واجد الشاعر وقد جعل الحزن الدفين يشيع فى أبياتها ، كما
نلمس فى هذا العمل الأدبى إحساس الشاعر بالأسى واليأس .

وهذا التشاؤم نجده فى قصيدته «الأزاهير السود» التى يقول فيها :

قد جنينا من أزاهير الردى

زهرة اليأس وأزهار الأسى

زهرة سوداء لا تعد لها

زهرة حمراء من زهر الهوى

كيف نهوى زهرة ، أوراقها

من دموع الصب تندى والدماء

تشعل الوجد ولوعات الغليل

وهى مثل الجرح فى صدر القتييل

ودماء القلب تجرى بمسيل
دمه رى جذور وأصول
كلما زاد احمرار لونها
راح جسمى بشحوب ونحول
قد جنينا من أزاهير الشقاء
زهرة سوداء من زهر القضاء
تبدل النفس سوادا من ضياء
ليس تنموفى رجاء أو زخاء
تنفح السم أربجا والبلاء
وهى تغذى من زفير وكاء
كم جنينا من أفانين الألم
زهرة سوداء من زهر الندم
لونها المأخوذ من لون الظلم
عابس فوق شفاء المبتسم
زهرة سوداء من زهر النقم
فهى طيف من ممات قد ألم
كم جنينا من أزاهير القدر
وأفانين صروف وغير^(٤)
زهرة سوداء من زهر الضجر
وهى من بنت هموم وكدر

فهى بالليل سهاد وسهر

وهى فى الصبح الشقاء المنتظر

هذه الأزهار سود كالتضاء

فى رياض من شقاء وعناء

ليس لى منها مفر أو نجاء

فهى حولى فى صباح ومساء

إن هذا العيش داء أى دواء

ليس يحى بشكاة أو بكاء (٥)

وفى هذه القصيدة نجد الشاعر قد تحرر من وحدة القافية ، وجعل أبياتها متعددة القوافى . وفيها نجد الطابع الحزين الذى تجسد فى جميع دواوينه .

ويكشف العمل الأدبى ما ينتاب الشاعر من إحساس مرير . ونراه وقد جعل هذا التشاؤم وقد انعكس على أزهار الحياة فأصبحت شقاء .

وهكذا ، وجدنا الشاعر يبده عطر زهر الحياة ويجعله ضنكا وكدرا ووصلت به مغالته فى التشاؤم إلى الحد الذى رأيناه قد أسرف فى قلب صورة الزهر وعطره .

وتجرتنا قصيدة «الأزاهير السود» إلى الحديث عن موضوع آخر من الموضوعات التى نظم فيها شعراء الوجدان الذاتى ونعنى به الطبيعة .

يقول عباس محمود العقاد فى قصيدته (لىالى رأس البر) :

مناظر من سحر الجمال أراها

ولولا سناها قلت كنت أراها

تلوح كذكرى حالم يستعيدها
لعمق معانيها ، وبعد مداها
فمن عالم النسيان فيها مشابه
وفيه من السلوى جميل رضاها
ليال برأس البر تندى وداعة
ورقة أشجان ، وطاب نداها
وداغية ذات الدل شاب فؤادهما
شوائب من هجر ، فراض صباها
ليال برأس البر طاب نداها
وشفت دياجيهها ورق سناها
هنا النيل ساج طال فى الدهر سيره
وظالت مرامى نبعه فسلاها
هنا البحر ثوار الدهور على الكرى
ويطفى فلا يحصى النفوس كراها
إذا استرسلت أصداؤه فى اطرادها
ترسلت الأحلام ملء منهاها
هنا عالم السلوى ، هنا العالم الذى
تحس الليالى فيه همس بخطاها
هنا العالم المشهود ذكرى قديمة
وذكراك دنيا لاتزال تراها
فلولا حياتى فى عروقى أحسها
لقلنت نعيم الغابرين طواها

جمالك - رأس البر - فى زى ناسك
إذا ضاحك العين الضحوك شجاها
لياليك - رأس البر - فى صومعاتها
مناسك ضلت فى الظلام هداها
صحابيك - رأس البر - أطياف نائم
تساوى لديها صباحها ودجاها
عناها الذى يعنى النيام من الرؤى
ولم أر جهدا فى الحياة عناها
حياتك - رأس البر - طفل مجدد
سقته ثدى الخالدات جناها
فلا تحرمينا رشفة الخلد كلما
قنينا ، وكم تغنى الجسوم نهاها
بحسبى من أبناء آدم إن صفا
لنا العيش يوما ، أن تكف أذاها (٦)

وفى هذه القصيدة يتحدث عباس محمود العقاد رائد جماعة الديوان
عن مدينة رأس البر التى تطل على نهر النيل ويصف مناظرها الجميلة
ولياليها الساحرة .

وقد لعب نهر النيل بعصاه السحرية فى الأعمال الأدبية للشاعر فنظم
فيه كثيرا من القصائد الغنائية كما نظم فى البحر بعض القصائد .
وقد نظم العقاد مقطوعة شعرية أخرى فى رأس البر بعنوان « شرفة
مصر فى رأس البر » (٧) .

(٦) عباس محمود العقاد : خمسة دراوين للعقاد ، القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٧٣ ص ٦٤ .

(٧) المرجع السابق ص ٦٥ .

وفى هذه المقطوعة تحدث الشاعر عن موقع هذه المدينة التي تعد مصيفا محببا إلى نفوس الناس حيث يقضون فيها فصل الصيف ويستمتعون بجوها اللطيف فلا يشعرون بحرارة الصيف .

ومع النيل والبحر والليل نجد العقاد ينظم القصائد الغنائية فى فصول السنة .

يقول فى مقطوعة «خبر الربيع» :

يأيها الورق المخضر فى شجر

عهدى وما فيه من ذى خضرة أثر

من أين أقبلت ؟ بل من أين أقبل فى

عيدانك العوج ذاك العطر والزهر

إنا سألنا ، ولو عاد السؤال إلى

فحوى الضمائر لم تعرفه يا شجر

سألنا بحقك من أين استجد لنا

هذا السرور الذى فى القلب ينتشر

كلاهما طارق طاف الربيع به

على براق من الأتوار ينحدر

سله فإن لم يجب فانعم بمقدمه

واقرح به ، وانتظره حين ينتظر

إذا أجاب بأزهار مفتحة

وبالسرور ، فحسبى ذلك الخبير (٨)

فى هذه المقطوعة الشعرية يتحدث الشاعر عن فصل الربيع وهو الموسم الذى تعود فيه الحياة إلى الأشجار ، وينعم فيه الإنسان بعطر الزهور .

ونقول ، لقد كانت الطبيعة عند أصحاب الرومانسية الأوروبية ومن تأثروا بهم من شعراء جماعتي الديوان وأبولو تعكس مشاعر الشعراء وتعبر عما فى نفوسهم من عواطف وخلجات ، وتكشف عن أفراحهم وأحزانهم ، وتسعد لسعادتهم وتشقى لشقائهم ، فكانوا أبناء لها أو بالأحرى كانت الطبيعة فى أعمالهم الأدبية كالأم الرؤوم تخفف من آلامهم .

وكان الارتباط بالطبيعة وكمال الاتصال بها يطهران نفس الشاعر الرومانسى ويحققان عنده التوازن النفسى .

وعند الشاعر الرومانسى نجد الطبيعة تطهر نفسه ، وتغسل قلبه وتنظفه من الدرن ، وللطبيعة عند الرومانسى ألفة تفوق كل ألفة . وجمال يفوق كل جمال . فلا غرابة أن وجدناه يتفاعل معها ويعتبرها كائنا حيا .
والطبيعة معشوقة الرومانسى ، يرمى بين أحضانها ليجد الراحة والسعادة ، وأحيانا تضمد جراح قلبه^(٩) .

ومع التشاؤم والطبيعة وجدنا شعراء جماعتي الديوان وأبولو الذين تأثروا بالرومانسية الغربية ينظمون شعرا فى المرأة يصفون فيه أعضاء جسدها وصفا غريزيا حسيا .

يقول إبراهيم ناجى فى قصيدة له بعنوان (راقصة) :

عجبا لعاريتة كسا ها الفن حسنا رانعا
سمراء وشتها بنا نته بياضا ناصعا
شبه الفرائد قد كسيد من فى الغمام براقعا

(٩) أرجع إلى كتابنا : الاتجاهات الرومانسية فى شعر حسن كامل الصيرفى ، الإسكندرية . دار المعارف ١٩٨٥ ص ١١٤ - ١١٥ .

خيآن نصفاً فى الدجى
من أى وديان الطبيا
من عبقر ، ومن الألم
وتدين ريان الشدى
وترين كونا يشبه الـ
متغاير الابداع مخـ
لك خفة الطير المحـ
لك خفة البطل المجـ
متمهلاً للخصم حيب

وجلون نصفاً لامعا
ء ملاعبيا ومرتعا ؟
ب ، ومن فنونها معا
لنا وخصرا جائعا
كون للرحيب الواسعا
تلف المحاسن جامعاً
لق طائرا أو واقعا
لى مقبلاً أو راجعا
نا للقاء مسارعا (١٠)

أنت واجد شاعر أبولو إبراهيم ناجى فى هذه القصيدة وقد راح يصف
الراقصة وصفا عاريا ، وتحدث عن ثديها وخصرها .

هذه الصور العارية يرسمها محمود حسن إسماعيل . وهو الآخر من
شعراء جماعة أبولو - فى قصيدة له بعنوان « عارية ستانلى » ويقول فيها:

من علم البحر لجاج الهوى
وقال للمرجة : خمر الصبا
وأنشدى فى الشط أغنية
حورية صورها ساحر
لو شامها قس بحرابه
لأحرق القلب بخورا لها
عريانة قدت مسوح الصبا
لم ترض بالديباج سترا لها

وأترع الحب بشطآنه ؟
صاف ، فعبى الكأس من حانه ؟
أودعها الناي بألحانه ! ؟
من روعة السحر وسلطانه
يذوب الروح لقرانه ؟
وأشعل النار بصلبانه !
من بهجة الفجر وألوانه
مهفهف الطرف بمصانه

فهللت أسدالها فى الضحى
أندى على الأرواح من نسمة
سارت إلى البحر وفى هولها
ظمأى لظمآن هفت مثلما
يا فتنة رفت على فتنة
سلبت رشد البحر حتى غوى
هذا الذى جردته للسنا
فضيحة الحسن أتحت لنا
جسم لو أن الروح ألت له
خزيان مزقت نقاب ألحيا
يرعشه الخزي إذا ما انبرى
فيحسب الناظر من فتنة

ورفرفت طيرا بيستانه
فيحاء يذكيها بريحانه !
ما يضرم النار بقيعانه
يهفو حشا الطير لغدرانه
كالعرف إذ رف بعيدانه
وأذهل العقل بطغيانه
يمس كالزهر بأفنانه ،
من شطط الغرب وكفرانه
زمامها - فر لأكفانه
من كل مستور بجثمانه
فى لهوه العارى وتفنانه
كهربة تجرى بسيقانه !

يا بدعة الشط سلبت الهدى
لولا جلال الفن فى بهرة
الهيئة فى شعري سغير اللظى
أو الهم البحر مساس ألحجا
ولم يدع فى غمره سابحا

من كل معصوم بإيمانه ،
للحسن أصلتنى بنيرانه ،
ورحت أصليك بأوزانه
لأغرق البر بطوفانه
يصافح الموج بشطانه !! (١١)

وللإنصاف لشعراء جماعة أبولو ، نقول إنه على الرغم بأن أدبهم
معرى ، وأنهم عرضوا فى أعمالهم الأدبية الأجساد العارية فإن رؤيتهم
كانت رومانسية غربية تتمثل فى نظرة الاحترام والتقدير إلى المرأة ، وهو
ما صرح به رائد الجماعة أحمد زكى أبوشادى الذى زعم بأن أعمالهم
الأدبية لم تكن من أجل الغريزة أو لذات الشهوة والجنس . وأن نظرتهم
إلى المرأة كانت نظرة مقدسة (١٢) .

هذه النظرة الذاتية المقدسة التى كان ينظر بها أصحاب الرومانسية
إلى المرأة وانعكس أثرها على شعراء جماعة أبولو نجدها فى قصيدة
حسن كامل الصيرفى «دمعة الحسناء» التى يقول فيها (١٣) :

دموعك أغلى من الأمنيات

فصونى دموعك ياغاليه ا

ولا تحزننى للغيوم الثقال

قر بأجوائك الصافيه

ولا تحسبى ظلمات الحيا

ة تمتد أمواجه الطاغيه

فشمسك تحلم فى خدرها

ببهجة غدوتها الصاحيه

ستفض عنها خمول الدجى

وتنهض سافرة لاهيه

وترسل فوق عراء الوجود

خيوط أشعتها كاسيه

(١٢) مجلة أبولو العدد التاسع ١٩٣٤ .

(١٣) لم نتحدث عن هذه القصيدة فى كتابنا «الاتجاهات الرومانسية فى شعر حسن كامل
الصيرفى» .

وتوقظ من غمرات السكون
أمانيك الحلوة الغافية
وتختال فى موكب من ضياء
بيده أشجانك الداجيه
صباحك ينبوعه القدسى
يفيض على روحى العافيه
فكيف تظنين أن الظلام
ستخلد رأيتك الساجيه
يد الفجر تعقل ماتهيين
وتطلق أطيارها الشاديه
وقسح أعيننا الدامعات
وتشفى جراحتنا الداميه
رأيتك تبكين فى غشيه
من اليأس موحشة قاسيه
كأنك زنبقة فى الدجى
تقطر أنداؤها الباكيه
فأحسست كف الظلام العتيه
تطفئ أحلامى الزاهيه
وأحسست أناتك الشاردات
ترجعها نسمة حانيه
تمزق ستر الدجى والسكون
وتقلق أنجمه الراعيه

وتبعث فى خفقات القلوب
كوامن أشجانها الماضيه
فذودى عن النفس أشجانها
تعيدى ابتسامتك الشافيه
وإن عيبت فى السماء الغيوم
فضنى بأدمعك الغاليه
فما قطرات دموع الحسان
سوى سبحة الخالق الساميه
إذا فرطت حبه من عراها
تدك لها الأجل الراسيه
وتغلق أبواب فردوسه
وتنضب أنهارها الجاربه
وتسكت أطياريها الصادحات
وتخفت أصدائها الساربه (١٤) ١

أنت واجد شاعر أبولو حسن كامل الصيرفى فى أبيات هذه القصيدة
ينظر إلى المرأة نظرة مقدسة فكانت رؤيته الذاتية إليها رؤية معنوية .
ونرى أن شأن شعراء جماعة أبواو كشأن شعراء الرومانسية الغربية
الذين تقربوا إلى المرأة فرارا من واقعهم المؤلم الذى كانوا يعيشون فيه .

وهكذا ، نجد الفلسفات الأوروبية الذاتية «المشالية» فى الجمال ، وذاتية الشاعر الفرنسى «بودلير» وآراء أصحاب الرومانسية الأوروبية قد أثرت فى هؤلاء الشعراء الغنائيين من المصريين الذين عرضنا لقصائدهم الغنائية فى هذا الفصل ، فنظموا القصائد الغنائية فى التشاؤم الذى كان من أسبابه ما كان يعانىه الشعراء من ظلم الاحتلال الانجليزى فى ذلك الوقت وافتقارهم تقدير الناس لفنهم . ولهذا وجدناهم يرتمون بين أحضان الطبيعة والمرأة لتخفقا عنهم الآلام والأحزان ولذلك راحوا ينظمون القصائد فيهما . «الطبيعة والمرأة» .

ثانيا - القصة

وهذه الذاتية نراها وقد تجسدت عند بعض كتاب القصة بنوعيتها - الطويلة والتقصيرة - واتخذ هؤلاء الأدباء من الجنس موضوعات لأعمالهم الأدبية .

ونحن لا ننكر الحب عاطفة إنسانية صادقة تثير فينا السعادة والبهجة ، ولكن ما نأخذ على هؤلاء الكتاب - وعلى رأسهم إحسان عبدالقدوس ويوسف السباعي - أنهم في أعمالهم الأدبية لوثوا هذه العاطفة الرقيقة الصادقة بالطين ، فكان أدبهم أدبا جنسيا يثير الغرائز والشهوات .

وأنت واجد هذا في القصة الطويلة «الوسادة الخالية» لإحسان عبدالقدوس ، حيث جعل الكاتب لقاءات بطل الرواية «صلاح» و«سميحة» لقاءات آثمة ، وكان الشيطان الشرير ثالثهما .

«وكان كلما التقيتا انتهيا إلى موضع قريب في صحراء مصر الجديدة ، جلسا فيه ليستمرتا فيما بينهما من حديث .. وقد اتخذتا من هذا الموضع عشا لهما ، لا يرضيان بغيره ، ولا يستريحان إلا فيه ولا تحلوا لهما النجوى إلا فوق رماله ..

«ثم حدث في لحظة من هذه اللحظات التي تطفو بين سطور الحياة دون أن تسبقها مقدمات - وبينما هما جالسان في موضعهما فوق الرمال - أن سكت بينهما الحديث فجأة ، وعبثتا حاولا أن يسترداه ، إنما تعلقت عينا كل منهما بالآخر في صمت خافت ، وكان جبهما قد شب على الحديث ، وأصبح عليهما أن يفظماه !!

«وطال بينهما الصمت الخافت ..

«وعرف كل منهما المصير ..

«وارتجفت شفتاه كأنهما شفتا مذنب تائب يسعى إلى المعبد لأول مرة ، ويخشى ألا تقبل توبته .

«وتزاحمت الدماء في وجنتيها كأن كل قطرة منها تزاحم الأخرى في الموكب المثير لتلمس شفتي المذنب التائب .

«وأرخت أهدابها فوق عينيها .. ثم أحت رأسها وتشاغلت تعبت في الرمال كأننا تبحث بينها عن مكان تختفى فيه من هذا الصمت .

«ومد يدا مترددة ومسح بها فوق شعرها في رفق ، ثم قرب وجهه الملتهب إلى وجهها الملتهب .. فرفعت عينيها كأنها تستغيث من النار ، فالتقت بشفتيه تنظر إليها في تضرع ..

«وتعلقت عيناها المستغيثتان بالشفيتين المتضرعتين ، كأنها لا تدري كيف تفر منهما .. ففرت إليهما !! ..

«ولس شفتيها أو كاد ، وكأنه يخشى عليهما من شفتيه اللتين طالما شربتا في نهم من أفواه النساء الرخيصات .. وكان هذه اللمسة الخفيفة قد طهرت شفتيه فأحس لها برجفة تسرى في بدنه كله ، وكان يد الله قد مسته وأمرته أن يكون ملاكا .. فكان !! ..

«وأحست هي لللمسة شفتيه بشبه دوار .. كانت القبلة الأولى في حياتها ، وكان في صدرها هاتف يتساءل : هل هذه هي القبلة ؟

«وربما اعتقدت أن القبلة شيء أكثر من هذا الدوار اللذيذ الذي تحس به ، وأكثر من هذه الضربات الراقصة التي يضرب بها قلبها ، وأكثر من هذه النشوة الهادئة التي أنعشت أعصابها .. فظلت مغمضة العينين ، مزمومة الشفتين ، إلى أن شعرت بأنفاسه تقترب منها مرة ثانية . وشفتيه تلمسان شفتيها ، ولكنها لم تكن هذه المرة مجرد لمسة .. فكانت لحنا كاملا تعزفه الشفاه !! ..

«وانتهى اللحن !! ..

« ونظر إليها كما نظر إليها لأول مرة .. كان كل شيء فيها يتنهد بركة وضعف .. عيناها الواسعتان تتنهدان ، وشفتاها المكتنزتان تتنهدان ، ووجنتاها العاليتان تتنهدان ، حتى يداها الصغيرتان تتنهدان .. ولم ينظر إلى صدرها البكر ليرى أنه لم يكن يتنهد .. كان يلهث !! ..

« والتقط يدها الصغيرة فى كفه الكبيرة ، وقال فى كلمات منكسرة وكأن شفثيه نسيئا الكلام ولم تعودا تصلحان إلا للقبل ! .

« - سميحة ..

« ولبت فى صوت خجول :

« نعم ..

« - أنت خلاص بقيتى بتاعتى .. بقينا لبعض .. مش ممكن نفترق ولاحد يفرقنا .. حانفضل لبعض على طول ..

« ولف ذراعيه حولها ليضمها إلى صدره ورفعت عينيها إليه فرأت شفثيه من جديد ، فدفعته فى رفق قائلة فى صوتها الهامس الخجول :

« - بس ياصلاح كفايه بأه !! ..

« قال وذراعاه لا تزالان حولها :

« - عمر ما حيكون كفايه .. و .. » (١٥)

هذه الصور التى تثير النزعات المكبوتة مجددا فى قصة طويلة أخرى لإحسان عبدالقدوس بعنوان « أنا حرة » .

وعلى الرغم أن الطبعة التى بين أيدينا لهذه الرواية قد حذفت منها الرقابة بعض السطور فإن الكاتب فيها جعل أبطال عمله الأدبى يتميزون بالقيم المادية ..

وفى هذه القصة وجدنا «أمينه» بطله الرواية وقد قبلت دعوة صديقتها اليهودية «فورتينية» لتخرج معها إلى نزهة فى سيارة وبرفقتها شابان أحدهما عشيق الفتاة اليهودية .

وقبلت أمينة الدعوة ، وجلست فى المقعد الأمامى بجانب صاحب السيارة ، بينما جلست «فورتينية» مع عشيقها فى المقعد الخلفى .

وفى الصحراء الخاوية ، راح الجميع يقضون وقتنا مع العيبث والعريضة وزين لهم الشيطان أعمالهم فوقعوا فى الخطيئة .

«إن الشاب لايزال صامتا ينظر إليها وابتسامته العابثة فوق شفقيه وذراعه لاتزال فوق حافة مسند المقعد تكاد تسقط فوق كتفها .

«وحاولت محاولة سلمية أخيرة فقالت :

« - تعال نمشى على رجلينا شويه ..

«ولدهشتها وافق الشاب وقال :

« - تعالى ا

«وفتح باب السيارة ونزل ..

«ونزلت .

«وسارا فوق الرمال يتحادثان حديثا متقطعا ، دون أن يحاول الشاب

شيئا ثم عاد إلى السيارة وارتكنا على مؤخرتها ..

«واقترب منها الشاب ..

«ثم رفع ذراعه ..

«وفى هذه المرة أسقطها فوق كتفها ..

«وأحست بوجهه يقترب منها .. وعادت إليها جميع صور الهجوم

والدفاع التى تخيلتها ..

« ثم أحست بشفتيه تلمسان وجنتها ، فلم تتحرك ، إنما شعرت
بوجنتها باردة كقطعة الثلج تذوب فى قطرات من العرق ..

« وابتعد الشاب بشفتيه كأنه اقشعر من هذه البرودة ، ثم عاد بهما ،
وقبل أن يصل إلى وجنتها مرة ثانية ابتعدت عنه وقالت له فى لهجة
حاسمة :

« أرجوك لازم أرجع البيت. دلوقت ..

« ولم يجادلها الشاب ، وعاد إلى السيارة ، ونظر الشاب إلى الفتى
والفتاة اللذين بداخلها ، وقهقه ضاحكا وهو يصيح :

« يا جماعة خليكو معنا شويه ! » (١٦)

وهكذا ، راحت أمينة تلهو وتعبث مع شاب غريب لاترطبه بها علاقة.
وحصلت أمينة على البكالوريا (الثانوية العامة) والتحقت بالجامعة ،
ووجدنا الطلبة يندفعون نحوها ، كل منهم يطلب ودها وحبها ، وإن كانوا
فى الحقيقة يريدون التقرب إلى جسدها ، وبلغ عدد هؤلاء المتنافسين عشرة
شبان ، لكنها اتجهت إلى طالب آخر لم يكن أحد العشرة الذين أثارتهم
بفتنتها .

وشاركها «جلال» المشاعر والأحاسيس ، ولازم كل منهما الآخر
ملازمة الظل ، فكانا يجلسان بجانب بعضهما فى قاعة المحاضرات ،
ويتناولان سويا الطعام ، ويغادران الجامعة معا ويوصلها إلى دارها
بسيارته .

« إلى أن كان المساء ، وكانا مدعويين إلى حفلة راقصة فى بيت أحد
الزملاء .

«وتعمدت أمينة ألا ترقص (السوينج) أو (البوجى ووجى) ثم قامت ترقص معه (روميا) بطيئة هادئة يسرى لحنها ناعما حنونا كأنه خفقات قلب ، ويرتفع معه صوت امرأة تغنى وكأنها تتأوه قائلة :

« (إذا كنت تحببني .. قل لى ..)

« (وإن كنت يا حبيبى .. اعترف)

« (ولكن لا تقل لى .. ربما !؟)

«وانسأقت أمينة بخيالها مع اللحن الهادىء الناعم ، وكانت قد تعودت أن تتكلم وتضحك عندما ترقص . وأن تصرف اهتمامها كله إلى خطوات قدميها ، ولكنها فى هذه الليلة لم تتكلم ولم تضحك ولم تحس بخطوات قدميها ، إنما ألقت بجسدها فوق جسده وتركت خصلات شعرها تدغدغ وجهه وتقلأ أنفه بعبير أنوثتها ، ثم أحست بوجنته تلامس وجنتها وقد دبت فيها النار ، وأحست بأنفاسه تتهدج ثم تتسلل إلى أنفها .. ساخنة لافحة كأنه ينفخ فى لهب ، وأحست بساقيه ترتبكان حتى لم تعودا تصاحبان اللحن ، وكادتا تتوقفان عن الرقص ، ثم أحست بذراعه تضغطها إلى صدره وتقسو عليها وكأنه يريد أن يخفيها فى ثيابه ويفر بها ، ثم أحست بكفة تتحرك فوق ظهرها وتردد بين كتفيها كف أعمى يبحث عن باب الدخول» (١٧) .

ومن العجيب الغريب أن نجد أمينة وقد راحت تعريد وتعبث مع جلال باسم الصداقة والزمانة ، وسارا معا فى طريق المنكر والفحشاء ، ونراها يرتبكان هذه الآثام أمام أسماع الزملاء والزميلات من طلبة وطلبات الجامعة وتحت أبصارهم .

وعقب تخرجهما من الجامعة - جلال وأمينة - وحصولهما على شهادة إتمام الدراسة الجامعية ، انفصل كل منهما عن الآخر ، وسار كل واحد فى طريق ، وخرج جلال من حياتها ، وخرجت من حياته .

وبرغم حصول أمينة على الشهادة العالية فإن هذه الدراسة الجامعية لم تؤثر تأثيرا طيبا فى سلوكها ولم تترك انعكاسا ممتازا على شخصيتها ورأياتها بعد تخرجها من الجامعة تسير فى طريق الوحل الذى كانت تسير فيه من قبل فوجدناها وقد اندفعت بجسدها نحو شاب ثالث هو (عباس).

«ولم تسمع كلمة واحدة مما يقول ، وانحصرت كل حواسها فى أصابعه المنفرسة فى كتفيها .. كانت أصابع قاسية قوية تؤلمها قسوتها وقوتها ، وقد أحبت هذا الألم واستسلمت له ، وأحست وهو يهزها بعنف كأنه ينفذ غبارا من فوق جسدها لتبرق من تحته ومضات حية ، تزداد بريقا وحياة كلما ازداد عنفا ، وكلما أحست بجسدها يلامس جسده فى هذه اللمسات السريعة المخاطفة .

«وألقت رأسها إلى الوراء ، وهو لا يزال ممسكا بها بيديه ، وكأنها لم تعد فى حاجة إلى هذا الرأس ، بينما أغمضت عينيها كأنها لا تريد أن ترى إلا أحلامها ..

«وفجأة كف عن صراخه ، وتوقفت ذراعاه عن هزها وبرقت عيناه كأنه تنبه إلى أنها بين يديه لأول مرة ، ونظر إليها .. إلى شفتيها المستسلمتين وكادتا من فرط استسلامها تسقطان تحت قدميه .

«ومضت برهة وهو يطوف بعينه فوق وجهها ولا يكاد يتبين خطوطه وكأنه أفاق من ثورته على شىء أجمل من الثورة .

«ولم تفتح عينيها إليه .. إنها لا تريد أن ترى .. تريد أن تحس وتنتظر أن تحس شيئا ..

«وأحست بنفسها فوق صدره ، وذراعيه القويتين تحيطان بها وتضغطان عليها فى عنف ، وكأنه يريد أن يخفيها فى ضلوعه .

«ثم أحست بشفتيها تختفيان فى شفتيه وترقدان فى غفوة لذيدة وتتنفسان بينهما فى هدوء مريح ، كأنهما وجدتا مقرهما بعد أن تاهتا عنه العمر كله ..

« ولم تع شيئا ولم يكن رأسها موجودا فوق كتفها لتعى به .. إنما أحست بقلبها ينخلع من صدرها ويسحب روحها معه ليلحقا بشفتيها ، ويعيش الجميع .. القلب والروح والشفتان .. بين شفتيه ..

« ولم تدر متى رفع شفتيه عن شفتيها ، ولكنه عندما رفعهما أسندت رأسها إلى كتفه وهى لاتزال مغمضة العينين ، كأنها لا تريد أن تصحو من أحلى أحلامها ..

« ومد كفه يمسح بها فوق شعرها بينما مال برأسه يسنده فوق رأسها ، وسكت ليتترك قلبه يدق بجانب قلبها وكل منهما يروى للآخر قصة حب ..
« وسكتا طويلا ..

« ثم رفعت رأسها ونظرت إليه بعينين تكاد فرحتهما تغطى على أبصارهما .. » (١٨) .

وراح عباس وأمينة يرتكبان هذه الآثام باسم الحب والمحبة منهما برى ، ولم يفكرا فى الزواج .

ونجد أمينة تصنع كل هذا باسم الحرية ، ومثل هذه الحرية التى تتعدى الحدود وتصل إلى الفحشاء تنكرها ونلفظها .

وقد يزعم الكاتب أن بطلته ارتكبت هذه الآثام نتاج الظروف العائلية التى مرت بها ، حيث انفصل والدها عن أمها وتزوج كل منهما وجعلها أبوها تعيش مع عمتها وزوجها الذى كان يعاملها بقسوة وشدة .

ونرفض هذا الزعم ، ولا نظن أن مثل هذه الظروف تؤدى إلى مثل هذا التحرر والإنحلال .

هذا الإسراف فى الشر والعبث والعريضة نجد فى رواية الكاتب « لا أنام » ، وعلى الرغم أن الرقابة قد حذفت من طبعتها هى الأخرى بعض

السطور ، فإن إحسان عبدالقدوس قد وصل ببعض شخصياتها إلى درجات الحيوانية ، ووجدنا بطلة القصة «نادية» التي بلغت من العمر الثامنة عشر عاما تعريد وتعبث مع مصطفى الذى بلغ السادسة والثلاثين من عمره .

«وجئت ووقفت بجانبه ، ووضعت يدي على كتفه - وكان قد خلع سترته - وانحنيت برأسى داخل البيك آب متظاهرة بأنى أقرأ عنوان الاسطوانة ، ثم أدت رأسى إليه حتى كادت شفئى تلتصقان بشفتيه وقلت وأنا أتحداه بعينى :

« - الاسطوانة دى تعجبني قوى !!

«ولم يرد على .. إنما نظر إلى طويلا .. ورأيت فى عينيه شيئا جديدا مثيرا .. رأيتة قد قرر أمرا قد طال أمد تفكيره فيه ، وأحسست بأنفاسه أسرع مما تعودتها .. ولمحت حمرة خفيفة تصبغ وجهه الأسمر .. وقال فى صوت لم أسمع من قبل ، وكأنه من أعماقه :

« - أنت خلاص أعفيتينى من وعدى ؟ !

«قلت وشفئى لاتزالان قريبتين من شفئيه ، وصوتى يكاد يصبغ همسا :

« - وعد إيه ؟ ..

« - مش فاكراه انى وعدتك قبل ماتيجى الشقة أول مره .. إنى ..

« وقاطعته :

« - لا .. مش فاكراه !!

«وطافت بشفتيه ابتسامه ، اختفت سريعا .. ثم شعرت بوجهه يقترب من وجهى ، ثم بخده ينام على خدى .. ثم بشفتيه تزحفان فى رقة دافئة وتضمان شفئى ..

«لقد قبلنى أخيرا !!

«ولم أحس إلا بفرحتى بالقبلة الأولى .. القبلة التى انتظرتها كل هذه الأسابيع ..

«ثم ألقى الاسطوانة التى كانت لاتزال بيده وضمنى إلى صدره .. ثم ارتفعت يده ودست أصابعها فى طيات شعرى ، بينما ذراعه الأخرى لا تزال تضمنى فى قسوة تمنيت أن تكون أقسى .. ثم انحنى يقبل عنقى .. عشرات القبل !!

«ورفع رأسه ونظر إلى وأنا لازلت بين ذراعيه ، وقال فى صوت مرتعش مبهور :

« - أنا قاومت كثيرا يا نادية .. أنا

«ولم يتم حديثه إنما نظر إلى قميصه فرأى آثار أحمر شفتى .. فابتسم ابتسامة كبيرة .. ثم فك أزرار القميص وشده من تحت سرواله ، ثم خلعه وألقاه على الأرض .

«ورأيت صدرا عاريا .. صدرا فى لون البفتيك المشوى نصف شواء !! ..

«وكنت قد رأيت صدورا عارية لرجال كثيرين على شاطئ البحر .. وكنت قد رأيت صدر مصطفى نفسه عاريا .. ولم أشعر أبدا أن الصدر العارى يمكن أن يثير فى كل هذه الأحاسيس التى ثارت فى نفسى فى ذلك اليوم .. أحسست كأن هذا لافحا ينبعث من صدره .. أحسست كأن قوة كبيرة تبعث من هذا الصدر العارى وتشدنى إليه .

«وارتبكت .. وكأنى ضعفت .. وكأن كل شىء يتخلى عنى .. وكأنى لم أعد أستطيع الوقوف على قدمى .. وكأن نارا تندلع فى أعصابى وتصهرنى ثم تذيبنى ..

«ولم أعد أستطيع أن أنظر إليه أو إلى صدره العارى ..

«وقال فى صوت منقطع خشن وكأنه يعتذر :

« - أنا آسف .. كان لازم أقلع القميص علشان ما اضطرش أغسله قبل ما انزل ..

«ولم أرد عليه ..

«وسكت طويلا ، وأنا أشعر بعينيه تطوفان فوق وجهى .. ثم مد ذراعيه وضمنى إليه ، وضغط رأسى فوق صدره العارى .. وأحسست بشفتى تحتضنان قطعة من صدره .. قطعة من لحمه !!» (١٩) .

وكثيرا ما تكررت هذه اللقاءات الآثمة فى منزل مصطفى ، ولم يشعر بالخطيئة ، وكانت هذه العريضة تجرى فى حياتهما سهلة وبسيطة .

وراحت نادية تشرب الخمر وأدمنت فيه مع عشيقها ، ووصلت العلاقة الجنسية بينهما إلى حد أصبحا كالزوجين ، تصنع معه كما تصنع الزوجة مع زوجها ، ويفعلان كل هذا بلا حرج أو حياء .

وكيف يشعران بالمرح والحياء وكان الشيطان لهما قرينا وراح يحرضهما على ارتكاب المنكر ويدفعهما إلى الهاوية .

«وانتهيت من كأسى ..

«ولم تكن المرة الأولى التى أشرب فيها كأسا .. كنت قد شربت عدة كئوس فى عدة مناسبات ، وكنت قد شربت كئوسا أخرى مع مصطفى .. ولم يكن مصطفى يقدم لى الكأس ليسكرنى ، لم يلح على أبدا فى أن أشرب أكثر مما أريد ، وفعلا لم أسكر أبدا فى حياتى .. لم يكن الويسكى يؤثر فى ، ولكنى أحسست لهذه الكأس بنشوة لم أحسها من قبل ! ..

«وجذبنى مصطفى من يدى مرة ثانية ، ودخلنا إلى الحجرة الأخرى التى كنت أسميها حجرة المكتبة .. وكان ضوءها أصفر خافتا ينبعث من (أباجور) كبير منزو فى ركن بعيد .

«بدأ مصطفى يعلق بعض الاسطوانات من (البيك آب) .. ثم التفت إلى ، ولفنى بنظرات عينيه .. نظرات مبهورة ساخنة .

«وقال على أنغام أول اسطوانة :

« - تعرفى أنا نفسى فى إيه دلوقت ؟ .. نفسى أخرج بيكى فى الشارع وأمشى قدام الناس وأقول لهم : دى بتاعتى .. كل الجمال ده بتاعى .. عنيكى بتوعى .. وشفايفك بتوعى .. وشعرك بتاعى .. كل حته فيك بتاعتى أنا .. تعرفى أحلى حاجة فيك إيه ؟ ..

«قلت وأنا أزهر بنفسى وجمالى :

« - إيه ؟ ..

«قال كأنه يغيظنى :

« - أنا .. حبي ! !

«قلت كأنى أصد غروره بنفسه :

« - أبدا كل الناس بتقول إن أحلى حاجة فيه .. لون عينيه ! !

«قال وهو يضحك :

« - لو ماكنتيش بتحبينى ماكانش لون عنيكى بأه حلو كده .. كانت بقت عنيكى دبلاته .. وخدودك نايمه على شفايفك .. وشفايفك نايمه على دقنك .. قولى يانادية .. قولى إن أحلى حاجة فيك هيه حبي ! !

«ولم أقل شيئا .. وإنما ارتيمت فوق صدره ، وتركته يسمع حبي مع دقات قلبى ..

«كنت أصدقه وأصدق كل شيء ، وأنا معه ! ! .

«ورقصنا على أنغام الاسطوانة الثانية .. ثم بدأت خطواتنا تتشاكل حتى توقفنا عن الرقص ، وشتاى بين شفتيه وأنفاسه تلسح وجهى ، وذراعاه تضغطانى بقسوة ! !

« ولم أحس وأنا هائمة فى قبلته بأصابع مصطفى وهى تبحث عن
(مستة) ثوبى وتشدها لتخلع الثوب عنى ١١ ..

« ولم تكن المرة الأولى التى أخلع فيها ثوبى أمام مصطفى .. كانت
الطبيعة خلال الشهور الطويلة التى عرفته فيها قد أعطته منى ما أراد ،
وأعطتنى منه ما أردت .. ولكنى فى هذه المرة أمسكت بأصابعه التى
تخلع ثوبى .. وقلت فى حزم مبتسم :

« - لا .

« ونظر إلى مصطفى دهشا كأنى أزعجته فى أحلامه واستطردت
قائلة :

« - دور وشك

« ولم يفهم مصطفى .. وظل ينظر إلى دهشا . وقلت وأنا أدير ظهره
إلى ييدى :

« - دور وشك .. وما تبصش إلا لما أقول لك

« وابتسم مصطفى .. وخطا عدة خطوات إلى آخر الغرفة بجانب
(الأباجور) وأدار وجهه ، وانتظر ..

« وخطوت أنا إلى ركن الغرفة المقابل ، وفتحت حقيبتى .. وأخرجت
منها قميص النوم الحريرى الأبيض ، وخلعت ثوبى بيدي .. وأنا أقول له
بين الحين والآخر :

« إوعى تبص ١١ ..

« ثم لبست قميص النوم ..

« وقلت بصوت هامس خجل ، كأنى أقابل مصطفى لأول مرة :

« - بص بأه ١١ ..

« والتفت إلى ونظر كأنه لا يصدق عينيه ١١ ..

«وأبعدت عيني عن عينيه .. كأنى لا أستطيع أو أواجهه أو لا أستطيع أن أواجه النشوة التى تضطرم بين أضلعي !

«ومد ذراعه وأطفاً (الأباجور) .. لم يبق سوى ضوء خافت ينبعث من الحجرة المجاورة ، يتسلل إلينا متردداً على استحياء ..
«وأحسست به .. بجانبى ..

«وأحسست به يجذبني إلى الأريكة العريضة ، ثم نزع فوقها كأننا ورقتان خفيفتان يسقطهما الهواء من فوق شجرة إلى الأرض ..
«وأحسست بنفسى بين ذراعيه ! ! ..

«وتمنيت ساعتها أن يكون فى الشقة غرفة النوم ، ليتم بها حلم العروس ..

«وانقضى الليل ونحن الاثنان لا ننام ! !» (٢٠) .

تفعل نادية كل هذا مع مصطفى وهى على دراية بأنه لا يقتنع بالزواج لأن مفهوم الحب عنده يختلف عن مفهوم الزواج .

ومن أجل احتفاظها بعشيقها مصطفى ، راحت ترتكب الكثير من الشرور ، وجعلت تلصق بزوجة أبيها تهمة الخيانة حتى يطلقها ، ورأيناها تحميك الخطط وتدبر المؤامرات ليتسرب الشك إلى قلب والدها .

وتحقت أمنيتها وانفصل والدها عن زوجته وطلقها ، وعانى أبوها كثيراً لأنه كان يثق فى زوجه ، وما كان يظن أنها ستخونه .

ثم يتزوج والدها من صديقتها «كوثر» التى كانت صورة مستوحاة منها ، وكانت هى الأخرى واحدة من هؤلاء اللاتى يفرقن بين الحب والزواج .

أعنى أن كوثر كانت على علاقة آثمة بشاب آخر قبل ارتباطها بالدها واستمرت هذه العلاقة بعد الزواج ولم تنفصل عن عشيقها .

والعجيب الغريب أن نجد كوثر تطلب من نادية الزواج من عشيقها
«سمير» وتحاول اقناعها بهذا الزواج (٢١) .

وتخضع نادية لأوامر صديقتها وزوجة أبيها وتتزوج عشيقها سمير .
ونقول إنه على الرغم أن والد نادية قد انفصل عن والدتها وهى فى
عامها الثانى .

وعلى الرغم أن هذا الطلاق كان نتاج علاقة آثمة بوالدتها مع رجل
آخر .

وعلى الرغم أنه تزوج امرأة أخرى .

وعلى الرغم أن نادية كانت على دراية تامة بهذه الأحداث ، فلن
تشفع لها هذه الأحداث ارتكابها هذه الآثام والشور .

وهذه الذاتية المفرطة تجسدت فى كثير من قصص يوسف السباعى
الطويلة والقصيرة .

وفى روايته «إنى راحلة» يصور رؤيته غمى الحب والزواج ، و(عايده)
بطلة هذا العمل الأدبى فتاة كانت تعيش مع شقيقها وجدتها ووالدها الذى
انفصل عن أمها .

وفى الصفحات الأولى من الرواية يصور الكاتب بطلته وهى فى
مستهل حياتها ، وقد جعلها جامدة الإحساس ، متبلدة الشعور ، ونراها
تنكر الحب ولا تعترف به ، وأثر والدها تأثيرا كبيرا فى بناء شخصيتها
فى هذه المرحلة ، ولعله أراد أن يجعلها تتميز بهذه الطباع والحاصل نتاج
انفصاله عن أمها .

لكن عايده لم تظل على هذا الإحساس ، واتجهت بجسدها إلى
«أحمد» ابن خالتها الذى كانت تعامله من قبل بكبرياء ، وراحت تعربد
معه وتلهو .

« .. ورفعت بصرى إليه فوجدت وجهه يطل على وقد شاعت فيه
ابتسامة مشرفة ونظرة حاملة متمنية ملأنتى نشوة ، ومتعة ، وأحسست
بيده تمس رأسى فى رفق ، وأصابعه تعبث فى شعرى ، فأصابتنى من
مسته ومن نظرتة رجفة سرت فى جسدى .

«لم يقل لى : إنى أحبك ، وخيرا فعل .. فكلمة (أحبك) كنت
أستثقلها وأعتبرها ممجوجة مبتذلة . وكنت أعتقد أن أبغض ما يفعله
محب لكى يعبر عن حبه لمن يحب هو قوله : (أنا أحبك) .

«لم يقل لى (إنى أحبك) ولكن عينيه وشفتيه وأصابعه وكل جارحة
فيه ، كانت تنطق صارخة (إنى أحبك) .

«هذه أشياء تحس قبل أن تسمع .. فالمشاعر تسرى من النفس إلى
النفس كأنها شعاع مضى .. إنها ليست فى حاجة إلى أقوال تظهرها .

«أطرت برأسى وأنا أحس اضطرابا شديدا ، وعاد إلى خوفى القديم
من الحب .. وعواقبه ، وصممت على ألا أترك نفسى تنزلق ، وأن أتمالك
وأتماسك ، وأن أقاوم كل متعة ، وألا أدع زمام نفسى يفلت منى .

«ورفعت بصرى مرة ثانية ، فوجدته مازال يسلط على من عينيه تلك
النظرة الحارة التى تذيب نفسى وتتركنى على وشك الانصهار أو التحلل .

«كيف المقاومة ؟ أأكسو وجهى مظهر الغضب والنفور وأمره بأن
يعود إلى مقعده ؟ لا أظنها طريقة مثلى ، لأنه إما أن يغضبه نفورى ،
وأنا لا أود إغضابه ، وإما أن يزيد التمتع رغبة ، ولا أظننى لو زادت
رغبته قيد أنملة ، أستطيع المقاومة .

«إذا .. ادعى البرود ، وأريه أنى جامدة لا أتأثر .. فيصيبه الفطور
والخجل فتخمد عواطفه ، وأكون بذلك قد انتصرت ؟

«لا تضحكوا على ولا تسخروا منى .. فما خدع الإنسان مثل نفسه
.. لقد كنت أحاول أن أجد لنفسى فتوى أنال بها ما حرمته عليها وما

أبرع الإنسان فى إيجاد الفتاوى والمبررات وفى اللف والدوران .. لقد كنت أتلهف على ما أجزع منه .. كنت أريد وأخشى .. فحاولت أن أفر من الخطر لأعود إليه من طريق آخر ..

« أجل لقد صممت على أن أبدي له الفتور وقلة الاكتراث ، وأريه أنى متمالكة عواطفى ، وأننى لا أفقد زمامى بسهولة .

« كنت لاشك حمتاء .. ألسنت إنسانة ؟ وعاشقة ؟ !

« لننظر ماذا كانت النتيجة ؟

« نظرت إليه وقلت له بهدوء :

« - ثم ماذا ؟ ماذا بعد جلستك هذه ؟

« ولم يجب ، بل انحنى برأسه وهو ينظر إلى نظرتة الحنون اللهفى . وأحسست بلهب أنفاسه يلفح وجهى ، وبشفتيه تقتربان من شفتى وتسهما مسا خفيفا .

« وتمالكت نفسى ، وبقيت كما أنا .. لا أحرك ساكنا ، وكأنى لم أحس به ولا بشفتيه ، وقلت له بمنتهى الهدوء :

« - لا فائدة .. إنى مخلوقة جامدة الإحساس ، وباردة المشاعر ، خير لك أن تقبل تمثالا من التماثيل .. فلن تحرك فى من المشاعر أكثر مما تحرك فيه .

« ولم تصبه كلماتى بفتور ، أو تراجع .. أو تطفىء منه الحرارة التى تشع من عينيه ، أو اللهب الذى كان يستعر فى أنفاسه .

« ومن العجب .. أنى لم أحس بخيبة أمل .. رغم أن هذا كان فشلا ذريعا لحطتى التى انتهجتها للمقاومة ، ولكننى - كما قلت لكم - كنت أخدع نفسى ، وعلم الله ماذا كان يمكن أن أحس به من المرارة لو قد أصابه التراجع والفتور فعلا .

« ظلمت أقول له إنى لا أحس ولا أشعر .. وإنى جامدة باردة ، وظل هو يمس بشفتيه شفتى .. حتى أحسست كأن الكلمات أخذت تذوب فى فمى ، وأن صوتى يتلاشى رويدا رويدا .. كأنما قد فقدت قدرتى على النطق ، أو كأنى قد حققت بمخدر .

« ولم أنبس بكلمة .. بل تشاغل جفناى .. ولم أعد أشعر إلا بشفتيه حارتين على شفتى .. وأنفاسه مختلطة بأنفاسى ، وىلا وعى ، ولا إرادة .. وجدت ذراعى .. ذراعى أنا - المخلوقة الباردة التى لا تحس تحيطانه برفق ، ثم تضمانه بكل ما ملكت قواى ، وأغمضت عينى .. ورحت فى نشوة ممتعة .. وحلم جميل .

« وافترقت شفتانا برهة .. كى نتمالك أنفاسنا .. ثم عادت الشفتان إلى لقاء آخر وأعنف .. ومد يده وأخذ يتخلل بأصابعه شعرى .. ويتحسس وجهى فى حنان شديد .

« وانتقلنا إلى الأريكة وجلسنا فى ناحية منها ، وجلست بجواره مسندة رأسى إلى صدره .. وبين لحظة وأخرى تلتقى شفاهنا .. كأننا نهمان صاديان ... لا نشبع من جوع ، ولا نروى من ظمأ » (٢٢) .

وعندما يتقدم أحمد إلى والدها ليطلب خطبتها ، نجده يخيب أمله ، ويرفض طلبه ، لأنه قرر أن يزوجها من «توتو» بك ابن أحد كبار الشخصيات .

وتقبل عايدة الزواج من «توتو» بك على مضض حتى لا تغضب والدها ، وكان «توتو» هذا صورة للشاب الذى يقضى كل أوقاته فى اللهو والعريضة والمنكر ، واستمر على هذه الحياة بعد زواجه من البطلة ، وحاول أن يجعلها صورة منه .

وذاث يوم عقب الزواج ، رافقته إلى أحد الأندية التى كان يتردد عليها قبل زواجه منها ، وتعددت اللقاءات فى هذا النادى مع أصدقاء «توتو» .

وكان هذا النادي مكانا للإثم والمنكر ، أو بالأحرى كان منتدى للشياطين ، وفيه كان الأزواج والزوجات يرتكبون القحشاء ، فرأينا الزوج يخون زوجته مع صديقه ، ووجدنا الزوجة تخون زوجها مع صديقه وهم يعتبرون هذه الآثام أشياء عادية وطبيعية ولا غرابة فيها (٢٣) .

وكان نتائج اللقاءات فى هذا النادي أن وجدنا سوءاته وقد تركت انعكاساتها على توتو وعائدة ، ورأينا الزوج يقع فى عشق «طمطم» زوجة محمود بك أحد الأصدقاء وراح يعبث معها ويلهو ، ووجدنا عائدة هى الأخرى تعربد مع الزوج محمود بك بعد أن أخبرته بعلاقة طمطم بزوجها .

وتتذكر عائدة ابن خالتها أحمد - الذى تزوج هو الآخر - وقررت أن تتخلص من هذه الحياة حفاظا على حقوق عشيقها أحمد - كما تزعم - .

وتذهب عائدة إلى الساقية التى كثيرا ما شهدت لقاءاتها ، وهناك وجدت أحمد الذى ماتت زوجته ، ورأينا الشيطان دلهما بغرور فأوقعهما فى الخطيئة . وراح العاشقان يعيدان الكرة فى الإثم والمجون والعريضة .

كما تجسدت ذاتية (إنى راحلة) فى (الشكل) حيث وجدنا الكاتب فيها وقد اهتم بحلاوة الأسلوب الذى كان يضمه بأبيات من الشعر .

«وكانت السماء منمقة بسحب الخريف المنشورة فى الأفق المحصرة الحواشى .. الموشاة الأطراف .. إيذانا بمطلع الشمس ، وأوراق الشجر قد كسبت بقطرات الندى المتلاثلة المتساقطة إلى الأرض كالدموع الصامتة وأبصال الزنبق تملأ الحديقة .. وأعواده المحملة بالزهور البيضاء تتمايل مع هبات النسيم .. وأوراق الورد الأحمر متناثرة على الطمى .. والداليا تتناقل زهورها على أغصانها العالية .. وحوض الماء الذى أجلسنى (أحمد) عليه وغسل لى ساقى فيه .. تتساقط من صنبوره قطرات الماء .

« ما أقدر المناظر المعينة .. والأجواء المخصوصة .. على تجسيد
الذكريات .. وعلى إثارة الشجن .. رب صوت عابر أو نسمة رطبة ،
تعيد إلى نفوسنا حشدا من الأحداث .. وتنقلنا إلى عالم آخر .. رب نقيق
ضفدع ، أو زقزقة عصفور ، تنكأ فى نفوسنا جرحا أبل وقرحا شفى .

رب ورقاء هتوف فى الضحى

ذات شجو صدحت فى فنن

ذكرت إلفا وعهدا سالفا

فبكت حزنا فهاجت حزنى

فبكائى رما أرقها

وبكاهها رما أرقنى

ولقد تبكى فما أنهمها

ولقد أبكى فما تفهمنى

غير أنى بالجوى أعرفها

وهى أيضا بالجوى تعرفنى

« لم تكن ورقاء هاتفة .. هى التى حركت شجنى ، وأندت مآتى ،
بل كان كل شىء حولى .. السحب المنخفضة ، والنسيم الرطب .. ومدافع
الورق ، وأعواد الزنبق .. وأوراق الورد .. وزهور الداليا .. وحوض
المياه .. كل هذا تعاون على فذوب نفسى ، وأضرم الحنين فى قلبى» (٢٤).

وهكذا ، جعل الكاتب الجمال فى عمله الأدبى يتمثل فى اللفظ
والأسلوب والصورة واللوحة ، وهذا ما كان ينادى به «كانت»
و«كروتشيه» فى فلسفة الجمال حيث ركزا اهتمامهما بالصياغة التعبيرية
والأسلوب .

وفى قصته القصيرة «امرأة مخدوعة» من المجموعة القصصية «ست نساء وستة رجال» نجد زوجا يخون زوجته مع زوجة قريب له .

«وطرقت الباب طرقة خفيفة فلم يجب أحد .. وجدت أن الباب غير مغلق بالمزلاج ، فدفعته دفعة خفيفة فانفتح ، ودخلت إلى الصالة وأنا فى غمرة من القلق والاضطراب .

«ووقفت فى منتصف الصالة الخالية .. أدير البصر يمينا ويسارا دون أن أجد أحدا .. وزادت فى نفسى الوسواس ، ووجدتني أندفع بلا إرادة إلى أقرب حجرة إلى فافتح بابها وأدلف منه .

«ولا أظننى أستطيع قط أن أصف لك مبلغ دهشتى وارتياعى وأنا أقف فى الحجرة أحملق فى المنظر الذى رأيت فيها .

«لقد رأيت آخر ما يمكن أن يخطر على بالى .

«رأيت الاثنين وقد ضمهما فراش واحد .

«من يصدق هذا .. ؟

«زوجى الأمين الطيب الوفى .. الذى كان يشمئز من المرأة ، والذى كنت أخشى عليه من أن يقتلها من فرط كرهه لها .. ينهار أمامها بمثل هذه السرعة ؟

«أهكذا تتطايير المبادئ والإخلاص .. فى غمضة عين .. أمام جسد عار وجيفة نتنة .. ؟

«أهكذا الرجال ياسيدى كلهم كالكلاب .. مهما حسن نوعهم وكرم أصلهم .. لا يتورعون عن أن يدسوا أنوفهم فى أقرب كوم للقمامة يلوح لهم» (٢٥) .

وذاث هذه الأحداث نجدها فى أقصوصة «رجل طيب» التى تصور امرأة تزوجت شابا يعمل مدرسا فى الجامعة بعد أن حصل على درجة الدكتوراه وعاشت معه عيشة طيبة ، وكانا يقضيان وقت الفراغ فى أحد الأندية القريبة من منزلهما .

ثم اتجه زوجها إلى الأعمال الحرة ، واضطره العمل إلى قضاء كثير من ساعات اليوم فى مكتبه وخارج بيته ، كما جعل زوجته تشغل هذا الوقت الذى يقضيه زوجها فى مكتبه فى النادي .

وفى النادي ، تعرفت بزميل لزوجها كان من أبطال رياضة (التنس) وعرض عليها الصديق أن يقوم بمهمة تدريبها هذه اللعبة ، لكنها اعتذرت حفاظا على مشاعر زوجها .

وعندما عرض بطل (التنس) على زميله الأمر وافق وطلب منها أن تقضى وقتها فى النادي مع هذا النوع من الرياضة .

وراح كل من البطل والزوجة يتقرب نحو الآخر عشقا وهياما ، وتقرر الزوجة الانفصال عن زوجها .

وكصنيع الزوجة ، وجدنا الزوج هو الآخر على علاقة بامرأة أخرى .

«وغازدت الدار ذات صباح بعد أن أنبأت زوجها أنها ستقضى اليوم بطوله عند أمها لأن بها وعكة ..» وذهبت إلى صاحبها لتنبئه علام استقر رأيا وأبيها ستختار ، هو أو زوجها .

«والتقت به فى داره حيث كان ينتظرها فى لهفة .. فأنبأته أنها قد اختارته هو .» وأنها ستنبئ زوجها بصراحة بجلية الأمر وتساءله الطلاق .. وغازدته عائدة إلى دارها .. وطال بها الانتظار دون أن يعود زوجها ، فدفعها القلق إلى الذهاب إلى مكتبه ، وكانت تعلم أية صدمة قاسية توشك أن توقعها به ، ولكنها كانت تعلم أن عملها هذا خير بكثير من الخديعة والخيانة .

«ووصلت إلى المكتب ودقت الجرس ، وبعد لحظة كان زوجها يقف أمامها فى دهشة وذهول .

«كانت أول مرة تزوره فى مكتبه ، وخشى أن يكون قد أصاب أمها مكروه .. فسألها منزعجا :

« - أصاب والدتك شىء ؟ .

« - لا

« - إذن ما بالك مضطربة هكذا ؟ .

« - أريد أن أفضى إليك بشىء .

« - الآن ! .

« - أجل الآن .

« - ألا يمكن تأجيله حتى نعود إلى البيت ؟

« - من الأفضل أن ننهيه الآن .

« - أهو من الأهمية بمكان ؟

« - نعم

«وقادها إلى حجرة المكتب وأغلق الباب ومازالت علامات الدهشة مرتسمة على وجهه . ولم تكذ تستقر على مقعدها حتى صاح متسائلا :

« - حدثينى عما بك

«وبصوت خافت حدثته ، عما جاءت لأجله .. وألقت إليه بخبيثة نفسها .

«وجلس ينصت إليها فى ذهول ، وقد اتكأ على المكتب مطرما برأسه فى يأس شديد .

«وأخيرا كفت عن الكلام وساد الهجرة صمت عميق .

«وبعد برهة قال بصوت خافت متهدج :

» - أنت مجنونة .. طائشة .

» - لست مجنونة ولا طائشة . ولكنى لا أريد أن أخونك أو أخدعك
لأنى أجلك وأحترمك .

» - ألا تمنحين نفسك فرصة للتفكير ؟

» - لقد فكرن كثيرا .. إنى لم أفعل ما يجعلنى أخجل حتى الآن ..
ولا أريد أن أفعله أبدا .

«وهز الرجل رأسه ببطء ، وقال وهو يحاول التمالك والتماسك :

» - لك ما تشائين .

«ونهبضت من مقعدها وغادرت الحجرة .

«وفى الطريق بدأ الضمير يشغل ضرباته ، وبدأت تحس ثقل الصدمة
التي أنزلتها بالرجل الذى بذل كل ما يملك لإسعادها .. والذى وهبها
البيت الهادىء والحياة المستقرة .

«وتصورت حاله الذى تركته عليها وانهيائه وبأسه فازداد بها الندم
وقننت لو تستطيع أن تخفف بعض عبئه ، وأحست بأنها كان يجب عليها
أن تضحى من أجله . وأن تقاوم رغباتها ونزعاتها .

«وبلا وعى ولا إرادة وجدت نفسها تعود القهقرى .. لتسأل زوجها
المغفرة وترجوه العفو وتنبئه أنها قد صممت على أن تقهر قلبها وتطلب
منه أن يساعدها على الخلاص من حبها .

«وكانت واثقة أنه سيقدر وسيغفر .. فهو طيب كريم .

«ومرة ثانية وقفت بباب المكتب ، ووجدت أنها لم تغلقه وراءها ..
ودخلت المكتب ولم تكذب تخطو بضع خطوات حتى وقفت مشدودة ذاهلة ..

«لقد وجدت الرجل الطيب الكريم .. اليائس المنهار .. الذى أنزلت به الصدمة الكبرى ولكنه كان فى حالة لا تنبىء عن طبيئته ولا كرمه .. ولا كان يائسا ولا منهارا .

«لا .. ولا كان هناك أى أثر للصدمة التى أنزلتها به . كل ما وجدته قد زاد عليه هو امرأة بين أحضانه .

«حقا .. إنها كانت مجنونة ، لقد أدلت إليه باعترافها أول مرة والمرأة مختبئة فى إحدى الحجرات ، لقد كان مكتبه مأوى لرفيقتة .
«لعنة الله عليها .

«كان خيرا لها أن تفعل كما يفعل .. فلا تفضح نفسها .. بل تبدو أمامه كما يبدو أمامها طيبا كريما» (٢٦) .

فهل ياترى هذه رؤية يوسف السباعى إلى الحب الذى شغل كثيرا من أعماله الأدبية القصصية الطويلة والقصيرة ؟

أى حب هذا الذى يجعل الزوجة تخون زوجها والزوج يخون زوجته ؟
إننا نرفض هذا الحب ، ونلفظ هذه العاطفة ، لأنه حب محرم ، وعاطفة ليست صادقة .

أقول ، ليس هذا حبا ، وليست هذه عاطفة ، إن ما كان يصنعه أبطال الروايات والقصص القصيرة إنما كان بدافع الشيطان ليوقعهم فى ارتكاب الخطيئة .

وهكذا - كما رأينا - كان أدب إحسان عبدالقدوس ويوسف السباعى ، أدب الجنس والنزعات الشريرة والشهوات التى تثير الغرائز المكبوتة .

لا غرابة إذن ، أن يعجب الفتيان والفتيات من طلبة وطالبات المدارس الثانوية بالأعمال الأدبية للكاتبين .

وأنا زعيم بأن إحسان عبدالقدوس ويوسف السباعي قد تأثرا في أعمالهما الأدبية القصصية الطويلة منها والقصيرة بفلسفة الجمال عند « كانت » و« كروتشيه » حيث وجدنا موضوعات قصصهم التي عرضنا لها ، لا صلة لها بالقيم الأخلاقية والدين والأعراف وتجسدت النزعة الذاتية في قصصهم الطويلة والقصيرة ، وكان العمل الأدبي عندهما من أجل اللذة والمتعة برغم ما كان يحتويه من شرور وآثام .

خالسا ، المسرحية

وكصنيع بعض الشعراء الغنائيين وأدباء القصة ، تأثر بعض كتاب المسرح بالفلسفة الذاتية وعلى رأسهم توفيق الحكيم فى إحدى مراحلہ الفنية التى جعل فيها أعماله الأدبية للمرأة وكانت مسرحياته تصويرا لما يكنه للمرأة فى تلك المرحلة من كراهية إلى حد جعل المجتمع فى ذلك الوقت يطلق عليه «عدو المرأة» .

وفى مسرحيته الطويلة «سر المنتحرة» التى كتبها فى عام ١٩٢٩ نجده يجسد هذا العداء .

وفى هذا العمل الأدبى نرى الدكتور «محمود» طبيب الأمراض النفسية والعصبية الذى تجاوز الخمسين من عمره فى عيادته مع «عزيزة» الفتاة التى تبلغ من العمر ثمانية عشر عاما وقد راحت تصرح له بما تكنه نحوه من حب وغرام ، بينما يخبرها بأنه لن يبادلها الحب لأنه زوج لامرأة فى الثلاثين من عمرها .

وعندما فشلت عزيزة فى التأثير فيه ، ووجدت أنه لن يبادلها مشاعرها وأحاسيسها ألقت بنفسها من النافذة وراحت ضحيته .

وتنشر الصحف والمجلات حادثة انتحار الفتاة ، وتغير هذه الحادثة من سلوك الدكتور محمود ومجرى حياته ظنا منه بأن «عزيزة» كانت تهيم حبا فيه وأنه وراء انتحارها .

«إقبال : (للوصيفة إذ تفرغ من الضيفة وتتقدم بالفنجان إلى ستها)

أين سيدك كل هذا الوقت ؟

الوصيفة : فى الحمام ياستى

إقبال : (تنظر إلى الأم نظرة ذات معنى)

طبعاً ... فى الحمام ... نعم . دائما

(ثم تلتفت إلى الوصيفة ثانية)

والحلاق ؟ وعاملات المحل ؟

الوصيفة : لم يحضروا بعد .

إقبال : (للوصيفة مشيرة إلى مائدة صغيرة)

طيب . أتركى الصينية وانصرفى .

(الخادمة تفعل ما أمرت به وتنصرف)

الأم : (فى دهشة) .

الحلاق وعاملات المحل ؟ ..

إقبال : نعم ياسيدتى . الحلاق . حلاق من أشهر حانوت ، تعاونه
آنستان ، إحداهما تقوم بتنظيف وصقل أظافر اليد ، والأخرى
أظافر القدم .

الأم : أتمزحين ؟

إقبال : كلا ياسيدتى لقد أمسى اليوم فى البيت لا عمل له ولا شغل
سوى الحمام والحلاق والخياط ، ويظل الحلاق بالأصباغ يخضب ما
وخط الشيب من شعره ... وبالمساحيق والكهرياء يفرك ما يجلد
وجبه من تجاعيد كى يعيد إلى البشرة رونقها وشبابها .

الأم : إنا لله وإنا إليه راجعون .

إقبال : نعم . بعد هذه السن يعود إليه الشباب من جديد .

الأم : يا للعجب .

إقبال : إنك لو شاهدته الآن لرأيت رجلا لا تعرفينه ، ولم يسبق لك به
عهد . متى تلاقيتما آخر مرة ؟

الأم : رأيتة آخر مرة منذ خمسة شهور

إقبال : ليلة الأربعين .

الأم : نعم ، وبعدئذ بلغتنى أخباره الجديدة .

إقبال : ألم تذهبي إليه فى العيادة .

الأم : ذهبت مرة .

إقبال : شاهدت طبعاً صورة الفقيدة مكبرة فى صدر الحجرة .

الأم : نعم . ومن أجل هذه الصورة بالذات جئت أحداثك .

إقبال : آه يا عزيزتى ، هذه الصورة تعرض كل يوم على أفواج السيدات

والآنسات المتدفقات على العيادة الآن فى غير انقطاع .

الأم : علمت أخيراً ..

إقبال : نعم ، ذلك حديث البلد ، إن الصحف كلها نشرت بحروف كبيرة

خبر الحادث فى حينه . وروت أن أنسة جميلة من أسرة معروفة

انتحرت من أجل الدكتور عزمى الطبيب المعروف ألم يطلعك أحد

على أقوال الصحف يومئذ ؟

الأم : أطلعونى .

إقبال : ألا تتصورين بعد ذلك سيدات القاهرة وأنساتها يهرعن إلى هذا

الطبيب مدفوعات على الأقل بحب الاستطلاع .. يشاهدن الرجل

الذى انتحرت من أجله أنسة جميلة معروفة ؟ ثم ألا تتصورين

وابل الهوى والمغازلة والمطارحة يطر على العيادة من كل جانب ؟

الأم : (فى مرارة)

شىء جميل .

إقبال : (فى مرارة أيضاً)

أليس كذلك ؟ رجل علم جاوز الخمسين ينقلب إلى دون جوان !

الأم : وكيف تصبرين أنت على هذا الحال ؟

إقبال : ماذا أصنع ؟ لقد فكرت طويلا فى الأمر ، لى منه غلام : إنى
أتحمل كل شىء من أجل (جمال) ، ومع ذلك ...
(فى تردد وهى تلتفت إلى مرآه فى الحائط)
ومع ذلك من يتزوج امرأة مثلى الآن ؟
(تتنهد)

امرأة محطمة ا» (٢٧) .

أنت واجد حادثة انتحار «عزيزة» وقد غيرت بناء شخصية طبيب
الأمراض النفسية والعصبية وجعلته إنسانا نرجسيا ورأينا السيدات
والآنسات عقب نشر الحادثة فى الجرائد والمجلات وقد أكثرن من التردد
على عيادته وكل منهن تقترب إليه حبا وعشقا ، ظنا منهن بأن «عزيزة»
ابنة الثامنة عشر ربيعا قد انتحرت لأنه لم يبادلها عاطفة الحب .

ووجدنا الدكتور محمود عزمى طبيب الأمراض النفسية لم يعد يهتم
بزوجته وابنه ، وراح يشغل وقته مع السيدات والآنسات اللاتى يترددن
على العيادة حبا وعشقا فيه .

وعندما أحست الزوجة بإهمال زوجها لها ولإبنها راحت تكشف له عن
سر انتحار «عزيزة» وتخبره بأنها لم تنتحر من أجله ، وإنما ضحت بنفسها
من أجل سائق سيارتها الذى ارتكبت معه الإثم والمنكر ، وهجرها ليتزوج
فتاة أخرى .

وعندما يعرف الدكتور محمود عزمى هذه الحقيقة يصاب بأزمة نفسية
وتعود إليه الشيخوخة كما كانت من قبل ولم يعد نرجسيا ..

واستغلت زوجه «إقبال» هذا التغيير الأخير - الذى وصل إلى حد
إصابته بالأزمة النفسية - للنيل منه .

«إقبال : وفر على نفسك مؤونة حب الاستطلاع هذا ، فإن اليأس إحدى
الراحتين ، إنى أنصح لك بمغادرة القاهرة زمننا والذهاب إلى
عزيتك بالريف إن من فى سنك يفيدته كثيرا الهواء النقى ،
ويجدد قواه الهدوء و عيش المزارع .

محمود : من فى سنى ؟ ! ..

إقبال : (وهى تخطو أمام المرآة)

يلا شك ، من فى سنك طبعاً .

محمود : وأنت ؟

إقبال : (تلتفت إليه سريعا)

وأنا ماذا تعنى ؟ ..

محمود : ألا تذهبين معى ؟

إقبال : (تعود إلى المرآة وتخرج من حقيبتها علبة مسحوق أبيض تطفى
نحرها مكان أظافر محمود)

لا .

محمود : أذهب وحدى ؟

إقبال : أتريد أن أترك خياطتى وأذهب مع رجل

محمود : مع رجل مسن ... قوليتها ... قوليتها ...

إقبال : لا أستطيع أن أقبر نفسى فى الريف قبل الأوان .

محمود : تقبرين نفسك معى ؟

إقبال : أنت تعلم أنى مازلت فى مقتبل العمر . ولو كانت فى رأسك

ذرة من عقل لأيقنت أن من المستحيل على امرأة فى مقتبل

العمر أن تنفص راحتها مختارة خمس دقائق من أجل مثلك .

لكنك أعمى لا ترى نفسك ، ومغفل استطاعت فتاة أن تلعب

بك فى الحياة وبعد الموت . نعم أنظر إلى أى حد استطاع ميت

أن يلعب بحى . لعبت بك . وجعلت نساء البلد يلعبن بك . كل هؤلاء النساء يأتين لمشاهدتك طبعاً كما يذهب الإنسان إلى حديقة الحيوان لمشاهدة مخلوق غريب .

محمود : أشكرك .

إقبال : لست أقصد إهانتك ، إنما أقصد فقط أن إنبهك إلى الحقيقة . وهى أنك رجل قد فنى وانتهى وينبغى لعينيك أن تسدد جهة القبر . أنظر إلى وجهك ذى التجاعيد . أى امرأة تسر لمنظرک وهى صادقة مخلصه فى هذا السرور ؟

محمود : أى امرأة ؟

إقبال : طبعاً ، ما من امرأة على هذه الأرض .

محمود : حتى أنت !

إقبال : نعم حتى أنا . مادمت تريد منى الصدق والصراحة ، فإنى أقول لك أنا ككل امرأة لا يمكن أن أرى فىك غير شيخ مفروغ منه . لأنى لا أستطيع أن أنكر الواقع . ومن الحقائق مالا يملك إنسان جاد إنكارها أو معارضتها . وكذبت امرأة قالت فىك غير ذلك .

محمود : حتى أنت ؟

إقبال : قلت لك إنى امرأة ككل النساء .

محمود : أنسيت ما أفضيت به إلى أمس ؟

إقبال : كنت أخدعك بالألفاظ كما خدعتك باقى النساء .

محمود : (فى مرارة)

حتى أنت تخدعين

إقبال : إنى لست معصومة .

محمود : أولاً يحس قلبك بحب لى إذن ؟

إقبال : حب لك . إنك تطلب إلى المرأة المستحيل .

محمود : أنت تقولين هذا يا إقبال ؟

إقبال : إنى صريحة مع الأسف . إنى لأعجب كيف يفكر فى الحب من فى سنك .

محمود : (يطرق)

تريدين أن أصدق أنى انتهيت ؟ ...

إقبال : أعجب لماذا تريد أن أحبك اليوم ، إلا أن تكون كالغريق تريد أن تعتمد على أى قلب .. ولكن حتى هذا القلب الواحد الذى بقى لك فى أفق الأمل إن فتحته فلن تجد فيه غير رماد بارد ، ولن يقوى مثلك اليوم على نفخ النار فيه .

محمود : (فى تعب وقنوط)

أشكرك يا إقبال .

إقبال : (وهى تتحرك للإلتصاف)

ألا ترى معنى أن الكلام معك فى الحب موضوع مضحك ؟ !

محمود : مضحك ؟ !

إقبال : مضحك للغاية ! ألا ترى ذلك ؟ ...

(تنظر فى معصمها)

الساعة الآن السادسة ، ينبغى لى أن أنصرف إلى ما هو أهم ... خياطتى تنتظر ...» (٢٨) .

أنت واجد (إقبال) الزوجة بعد اكتشافها الحقيقة وقد راحت تعامل زوجها بغلظة وقسوة وعنف ورأيانها تسخر منه وتوجه إليه الإهانات وتصرح له بأنها كانت تخدعه ، وأنها لا تشعر نحوه بحب ، وفى نهاية

حديثها معه تؤكد له بأن موعد خياطتها أهم منه . وأن عليها أن تتركه وحيدا يعانى الآلام والأوجاع النفسية .

وكيف يغفل عنها أنها بهذه الغلظة التى تعامله بها تضاعف من أزمته النفسية وتجعل حالته تزداد خطورة .

لقد كان يجب عليها أن تقف بجانبه فى هذه الفترة التى يعانى فيها من هذه الأزمة النفسية الحادة وتتخلى عن هذه النرجسية التى تكنت منها فتحنو عليه وتخفف عنه .

وتجسدت هذه النزعة الذاتية فى المسرحيات القصيرة للكاتب .

وفى مسرحيته القصيرة «أمام شباك التذاكر» التى كتبها أثناء وجوده فى فرنسا يصور علاقته بفتاة فرنسية كانت تعمل موظفة بمسرح (الأوديون) فى باريس ..

«هو : دعينا إذن من هذا كله .. ماعلينا .. أحقا أنه حكم على ألا يكون لى غير الوقوف فى آخر الصفوف ؟ ا ...

هى : بالتأكيد ا ... مادمت للأسف لا أملك (فوتيل) خاليا ا ...

هو : وهل يظل ذلك (الفوتيل) دائما مشغولا ؟ ..

هى : هذا ما أجهله ..

هو : ومكان الوقوف هذا ... لا يسمح لى بأكثر من المجرى ، لأزرع نفسى أمام شباك التذاكر ؟ ...

هى : يقيننا ا ...

هو : أهذا كل حقى ؟ ...

هى : نعم ا ...

هو : ألا ترين أنك بذلك تظلمينى ا ...

هى : ربما ، ولكن ما حيلتى ؟ ..

هو : تستطيعين توسيع دائرة حقوقى ! ...

هى : عفوا ياسيدى إذا سألتك عن صنعتك ا ... أنت من رجال القانون بلاشك ! ... أليس كذلك ؟ ...

هو : صدقت ! ... ولكننى أريد أن أسألك شيئا ! ...

هى : ماذا ؟ ...

هو : أريد أن تحبينى ... بأى ثمن ! ...

هى : هذا طلب مدهش ! ! ...

هو : وما يدهشك ؟ ...

هى : (ضاحكة)

خير لك أن تقول أريد أن تحبينى بأمر (البوليس) ا ... وإلا أحكم عليك بمخانفة ا ...

هو : عفوا ... إنى تنقصنى رقة الأسلوب ا ...

هى : (بجد)

لست أقول ذلك ... لا ا ...

هو : بلى ! ... بلى ! ... وأنت محقة ا ... إنى أعرف عيوبى ا ...

وطالما قيل لى : إن التى تحببى يجب أن تكون امرأة غريبة ،

عجيبة فى أفكارها وأساليبها ... حتى ترضى بشاعر مجنون

مسرف .. فنان يحب الفوضى والهوس ، ويحيا الحياة

البوهيمية ... ولن تحببى قط امرأة عادية ، ترعى أصول المجتمع ،

وتحافظ على التقاليد ! ...

هى : قل لى ا ... لماذا تريد منى أن أحبك ؟ ...

هو : لأنى أريد ذلك ... وكفى ا ...

هى : أعرف ... ولكن لماذا ؟ ..

هو : لأننى وجدت فيك ما أبحث عنه ا ...

هى : وهو ؟ ...

هو : روحك ا ... ذكاؤك ا ... نظراتك ا ... شعرك المقصوص كل ما فيك ينبىء بامرأة عادية ، نائرة ، متطلعة ، تسخر من كل شىء ، ولا تحافظ إلا على أصول عقلها السليم أو غيز السليم ا ... وهى خليقة بأن تحول أوجاع الحياة وأحزانها - أيا كانت - إلى مسرات ا .. نوع المرأة الخطرة ا .. لكن المرحه الفكهه ... هذه هى صورتك ا ... وأزيد على ذلك أن امرأة كهذه ، لا تستطيع أن تستغنى عن رجل من نوعها ا ... رجل له مثلها - أساليبه الخاصة ا ...

هى : ربما ا ... ولكننى أؤكد لك أننى لا أستطيع أن أحبك ، لأن قلبى الآن ليس ملكى ا ...

هو : أؤكد أنك ستحبيننى ا ا ...

هى : أيمكن حب اثنين فى وقت واحد ؟ ...

هو : ولم لا ؟ ...

هى : كيف ؟ ...

هو : الرجل يحب حليلته وخليلته فى وقت واحد ، كما يحب كمنجته وقطنه معا ا ... ولو أن ميزان الحب لهما غير متساو ا ... ولكنه مع ذلك يحب الاثنين ا ا ...

هى : ليس هذا منطقيا ا ...

هو : بلى ا ليس من المنطق القول بأنه لا يمكن إلا حب شىء واحد فالحياة أقصر من أن تكرر حب واحد ا ..

هى : لا أرى ذلك ا ...

هو : سوف تزين ا ... والآن إلى الملتقى أيتها الأنسة ا .. هاك
عنوانى ا ... فإذا أردت رؤيتى فأرسلنى إلى كلمة ا ...

هى : عبثا تحاول .. لن أكتب شيئا ا ...

هو : بلى ... إنك امرأة غير عادية ا ...

هى : لا تعتمد على ذلك ا ... فى وسعك أن تأتى لترانى متى
شئت ا ... فلست أحول دون من يريد رؤيتى ا ... ولكن لا تنتظر
منى أن أكتب إليك ، فهذا محال ... محال !! ...

هو : هذه كبرياء موروثه فى المرأة ، ولا محل لها ا .. ولكنها كبرياء
مؤقتة ، ومادمت امرأة غير عادية ... فلا تلبث كبرياؤك أن تنتهى
سريرا .. ويجىء يوم يدفعك حب استطلاعك إلى الكتابة إلى ا ..

(يخرج هو)

(تفكر لحظات ... ثم تنادى)

هى : إلى الملتقى ياسيدى ... سوف تنتظر طويلا ... (مدام كوزان) ...
(مدام كوزان) ا

الحارسة : ماذا حدث ؟

هى : قولى لى يا (مدام كوزان) ... أتعرفين أين هو مطعم (الأب
لويس) ؟؟ ...

الحارسة : نعم أعرف ... مطعم (الأب لويس) فى شارع ..» (٢٩)

وقد كتب توفيق الحكيم هذا العمل الأدبى باللغة الفرنسية فى عام
١٩٢٦ وترجمه إلى اللغة العربية أحمد الصاوى محمد عام ١٩٣٥ .

وتعبر المسرحية عن تجربة ذاتية بحثت مر بها الكاتب فى أثناء وجوده
فى باريس ، وفى هذا العمل الأدبى نجد الحكيم الذى قام بدور البطل فى

التمثيلية ، يطلب من الفتاة أن تتقرب جبا إليه على الرغم أنها صرحت له بأنها تربطها علاقة عاطفية بشاب آخر .

وراحت الفتاة - صرافة التذاكر - تتمتع فى البداية ، لكنها فى نهاية الحوار وجدناها وقد قررت أن تشاكر الكاتب مشاعره ، ونزعم أن ما دفعها إلى هذا إجراء المال الذى عرضه عليها فى بداية حديثهما .

وأرى أننا لم تكن صادقة فى شعورها نحوه ، وإنما كانت تخدعه من أجل الاستيلاء على ما يمتلكه من نقود .

ولقد وصل إسراف الحكيم فى عمله الأدبى إلى الحد الذى رأيناه وقد راح يصف ذاته بأنه شاعر مجنون مسرف ، وأنه فنان يحب القوضى والهوس ، ويحيا الحياة البوهيمية .

وفى مسرحيته «حديث صحفى» التى كتبها عام ١٩٣٨ ، يكشف عن كراهيته للمرأة والأسباب التى جعلته لا يفكر فى الزواج .

«السكرتيرة : الساعة دلوقت خمسة ... وفيه ميعاد ، مع مندوب مجلة (المصور) جاى يعمل حديث مع الأستاذ ! ...

هو : حديث ؟ ... موضوعه إيه ؟ ...

السكرتيرة : موضوعه ... (لماذا لم يتزوج عدو المرأة) ؟ ! ..

هو : لماذا لا يتزوج ؟ ... شىء جميل ! ... وده موضوع ؟ ...

أنا مستحيل أعطى حديث زى ده ... الصحفيين دول مش فاهمين إيه المسألة ، وأنا كمان ما أقدرش أتكلم بالصراحة ، وأقول لهم إن الجواز عندى زى الموت ! ... حد بيروح للموت برجليه ؟ ... والا هو حضرته إالى يطب على الواحد منا كده غصب عنه ؟ ... أنا ما أقدرشى أحلف إنى مش رايع أموت ... وكمان ما أقدرشى أحلف إنى مش رايع أمجوز ... الجواز جايز يدخل على من الباب ده ، فى أى

ساعة النهارده ا ... بكره ا ... بعد سنه ا ... اتنين ا ...
مين عارف ا ؟ ...

(جرس الباب يدق بشدة)

هو : اللهم اجعله خير ! ...

السكرتيرة : (تنهض مسرعة وتذهب ، ثم تعود وتقول بكل جد) واحدة
ست بتقول إنها جايه علشان تتجوز حضرتك !! ...

هو : (كالمصعوق)

إيه ؟ ...

السكرتيرة : (تخفى ابتسامة)

أقول لها تدخل ؟ ...

هو : انت مجنونة ؟ ا ...

السكرتيرة : أنا مالي ... هي جايه علشان كده ا

هو : هي قالت لك إيه بالضبط ؟ ...

السكرتيرة : قالت كده

(تدخل فتاة وشيقة جريئة

هي : أيوه أنا قلت كده ا ...

هو : يحملق فيها مستغربا) .

نعم ؟ ا ...

(السكرتيرة تنظر إليها لحظة ، ثم تخرج وتتركهما ..)

هي : أنا أسفة ... إنى قطعت على الأديب الكبير ، والروائي

الشهير ، سلسلة أفكاره ... لكن أنا مضطرة ا ... بقى

اسمع يا حضرة الروائي ، أنا تعودت فى حياتى ، أمشى

إرادتى على كل شىء فى الدنيا ا ... عمر ماحد خالف لى
طلب ا ... عمري ما طلبت حاجة ولا نلتهاش ا ... وأنا
صغيرة قلت لبابا : أنا عايزه أتعلم ركوب (الموتوسيكل) ا..
وفعلا جاب لى (موتوسيكل)

هو : كويس ا ... ده أنا لحد النهارده ، ماعرفش أركب
بسكليت) ...

هى : ولما كبرت شويه ، قلت لبابا يشتري لى باكار ٨ سلندر ،
أسوقه بنفسى ا ...

هو : براقوا ...

هى : والنهارده لما سمعت ان فيه واحد اسمه (عدو المرأة) ...

هو : ... قلت لبابا أنه لازم يشتريه علشان تسوقيه بنفسك ا ...

هى : مضبوط كده !!

هو : وحضرتك متأكدة أن فى امكانك بالطريقة دى ا ؟ ...

هى : طبعاً ... اللى خلانى قدرت أسوق (موتوسيكل) فى سن
١٢ ، وباكار ٨ سلندر فى سن ١٥ ، ما أقدرشى دى الوقت
أسوق حضرتك .

هو : أنا معترف صحيح إنى مانيش ٨ سلندر ، لكن ..

هى : اطمئن ا ... أنا شاطره فى السواقه ...

هو : وأن حصل تصادم ؟ ...

هى : وماله ؟ .. هو انت اللى رايج تسوق ؟ .. أنا المستولة عن
دفع جميع المخالفات والغرامات !! ...

هو : والتحطيم ، والتكسير ، والتخرشيم ، كل ده حايجى فى
مين ؟ . اعملى معروف ا ... أنا ... ياحضرة الآنسة قدامى
شغل ا ... وعندى ميعاد .. صحفى ا ...

هـى : وأنا مش خارجه من هنا قبل ما أنفذ الللى فى دماغى ! ...
هو : كويس خالص ! ... إيه بقى غيبة حضرتك من كده يعنى
دلوقت ؟ ...

هـى : غيتى انى اثبت للناس انى قدرت أمشى (عدو المرأة) على
العجين مايلخبطوش ؛ .. إحنا متراهنين على كده أنا وواحد
صاحبتى ، ولازم أكسب الرهان ! ...

هو : اللهم آمنت وصدقت ! ...

هـى : آمنت بإيه ؟ ...

هو : باللى فى بالى من زمان ! ...

هـى : إلا على فكره ، قل بشرفك إنت ليه (عدو المرأة) ؟ ...
هو : (بقوة ونفاذ صبر)

بالضبط علشان الاعمال الللى بتعملها انت دلوقت ! ...

هـى : أنت غلطان . احنا ياستات بالرغم من كل شىء ، عندنا
فضيلة ماتلقهاش عند الرجال ! ... هى اتنا نحب نعرف
عيوننا ونصلحها .. قل لنا بالصراحة إيه هيه عيوننا ، قبل
ماتزعل منا وتعادينا ! ...

هو : عيوبيكم ؟ ! ... عيوبيكم أن الواحدة منكم من نهار ماتعلت
تسوق (أوتومبيل) ، فهمت إن كل راجل فى الدنيا عبارة
عن أوتومبيل ... وإن وثيقة الزواج عبارة عن رخصة سواقه !
هـى : يعنى بالاختصار عايزين أنتم يارجال الللى يكون فى يدكم
(الدركسيون) ! ...

هو : أنا مش عايز فى أيدى لا (دركسيون) ولا (فرملة) ! ...
قلت لك ياستى أنا شخصيا ، ماأعرفشى أسوق (بسكلت)

كل المسألة انى واجل لازم أعيش فى حرية مطلقة ا ...
يعنى لاحد يسوقنى ولا أسوق حد ... أما فيما يختص
بغيرى من الاوتومبيلات ، يعنى بقية الرجال المتزوجين ، أو
اللى لسه خارجين من (الاجانس) و(الجراج) على وش زواج
فأنا نصيحتى انكم ياستات تعاملوهم بشىء من اللطف .
ويكون أظرف لو أحسنتم بهم الظن» (٣٠) .

فى هذا النص يجسد توفيق الحكيم أسباب كراهيته للمرأة فى تلك
المرحلة ، التى جعلته لا يفكر فى الزواج منها .

إنه يرى فيها الموت والقضاء على حياته وفقدان شخصيته ، وهو
إنسان ينشد الحرية ويحب الحياة ويعتز بذاته .

وهكذا كان الحكيم ينظر إلى المرأة فى تلك المرحلة ، وكانت رؤيته
إليها ذاتية بحتة وصورها فى بعض أعماله الأدبية عابثة لاهية ماجنة ،
جامدة الأحاسيس والمشاعر .

وأنا زعيم بأن أسباب عداء الحكيم للمرأة إنما تعود إلى التجريتين
العاطفتين الفاشلتين اللتين مر بهما فى تلك المرحلة . وكانت التجربة
الأولى فى القاهرة فى أثناء الدراسة الثانوية مع «سنية» ابنة الجيران
التي أحبها وتزوجت شابا غيره وأما التجربة الثانية فقد عايشها الكاتب
فى (باريس) مع صرافة التذاكر التى تحدث عنها فى مسرحيته القصيرة
(أمام شباك التذاكر) وراح يتقرب إليها ويصرح لها بحبه وشعر فى
النهاية أنها فضلت عشيقها الآخر عليه .

وقد استمر هذا العداء فى الأعمال الأدبية لتوفيق الحكيم حتى قبيل
زواجه مع بداية الأربعينات .

نعنى ، لقد كانت حادثة زواجه من أهم العوامل التى جعلته يغير من هذه الرؤية الذاتية ، ولم يعد عدوا للمرأة بل راح يجعلها موضوعية فى كثير من أعماله الأدبية .

وقد تجسدت الذاتية المتطرفة فى المسرحية الطويلة «شقة فى الجيزة» لأمين يوسف غراب . وهذه المسرحية ، صورة مستوحاة من الذاتية الأوروبية التى تميزت بالعبث والعريضة .

وفى هذا العمل الأدبى ، نجد (حماده) المهندس و(منصور) المقاتل اللذين تربطهما الصداقة وعلاقة العمل يعيشان عيشة بوهيمية وذلك على الرغم أن كلا منهما زوج ويعول أسرة .

«منصور : عايز تقول إيه ؟

حماده : كده ولا الذل اللى انت عايش فيه ده ؟

منصور : هو ذل بس ياحماده ...

حماده : مش بتحبها ؟

منصور : (فى حزن شديد)

ياريت ياحبها وبس ياحماده ... دا انا باعبيدها

حماده : وعملت إيه بقى لك ثلاث سنين .. ؟

منصور : ولا حاجه ...

حماده : حتى السلام إن سلمت عليك يادوبك بطراطيف صوابها ...

منصور : ياريت ياخويا طراطيف صوابها .. دا بطراطيف ضاقرها المذبذبة دى اللى عامله زى منقار أبو قردان .

حماده : طيب . والفلوس اللى بتصرفها عليها دى كلها ؟

منصور : هى فلوس وبس ياحماده .. اسكت ياخويا اسكت ..

حماده : بدمتك .. بتصرف عليها كام فى الشهر ؟

منصور : مافيش لزوم يا حماده . مافيش لزوم ..

حماده : مش حرام ؟

منصور : (وكأنه يبكي)

تعرف أول امبارح حفيظه قبل ما اخرج قالت لى عايزه عشرين
جنيه عشان أجيب هدوم الشتا أنا والاولاد قلت لها صهينى يا
شيخه وسبتها ونزلت ، رحى المكتب فى الازهر مافيش دقيقه
التليفون ضرب .

أهلا عليه هانم . أهلا ست الكل أنا راخر بقول الدنيا مالها
منوره كده .

(مقلدا صوتها)

قالت لى أسمع بلاش رغى . قلت لها أفندم خدامك ..

قالت لى أنا امبارح رحى شيكوريل خدت حاجات من هناك ،
روح ادفع الفاتوره وابعتها لى على البيت ، نزلت جبرى بقى اللى
فى ايدى فى اسنانى تعرف لقيت الفاتوره يكام .. ، تلتيميه
وسبعتاشر جنيه وتمنتاشر قرش ونص .

حماده : وعلى قلبك أحلى من العسل .

منصور : أعمل ايه يا حماده ..

(يكاد يبكي)

باحبها يا حماده . باحبها .. وياريت باحبها ويس .. باعبدها
يا حماده يا خويا باعبدها .

حماده : وتقعده بالتلات ساعات والاربعه تنشف ريق العمال عشان تلاته
صاغ وأربعه صاغ . وأنا ماهيتى عمرها ماأخذتها كامله ..

منصور : دى حاجه ودى حاجه يا حماده .. ربنا مايوريك الحب .. دانا
ساعة ما باشوفها واشوف رمش عينيها ده ترفعه لفوق يبقى
محسوك زى الورقة اللي يرميها الهوى لفوق .

حماده : بقى بتشوفها ..

منصور : فى الشارع وحياتك ، وإذا تكرمت وتعطفت وجالها خالها
الطيب جت عندى فى المكتب شريت فنجان قهوة ..

حماده : وقابل انت كده ؟

منصور : أعمل ايه نفسى انتقم منها ، أذلها زى ما بتذلى نفسى
أوريها النجوم الظهر زى ما بتوريني المر أشكال وألوان ... زى
ما بتخلينى طول الليل نايم على ضهرى وعينى للسما أتلوى زى
ما يكون سكاكين بتقطع فى قلبى .

حماده : كل ده ح ينتهى ..

منصور : مش معتول .

حماده : أنا اللي ح انتقم لك .. مش ح اخليها تجرى وراك فى الشوارع
ويس ح اخليها تيجى لغاية هنا مش تبوس ايدك ، تبوس
رجليك ..

منصور : تعرف ساعتها أنا اللي ح ابوس رجليها (٣١) .

وهكذا نجد منصور المقاول يتيه حبا وعشقا فى (عليه) وينفق عليها
بسخاء ، وجعل يده معها مبسوطه كل البسط ، وفى إحدى المرات نراه
وقد أنفق عليها سبعة عشر وثلاثمائة جنيهها وثمانية عشر قرشا ونصف
قيمة ما أشتريته من أشياء خاصة بها من (شيكوريل) . وهو سعيد جدا
بهذا بينما نرى يده مغلوله مع زوجته وأولاده ويبخل عليهم بمبلغ عشرين
جنيها هم فى حاجة ماسة إلى هذا المبلغ لشراء ملابس فصل الشتاء .

(٣١) أمين يوسف غراب : شقة فى الجيزة ، القاهرة . دار الكاتب العربى للطباعة والنشر

هذا السلوك السيء، نجده عند (حماده) الذى جعل الشقة التى اتخذها مكتباً لأعماله (الهندسية) منتدى للمنكر والفحشاء . ونراه وقد انتحل شخصية (الشيخ على) - الذى كان يقيم فى الشقة من قبله واتخذها مكاناً لمزاولة مهنة الشعوذة والسحر وكان يتردد عليه الكثير من النساء والرجال .

وراح حماده يمارس عمل الشيخ على ليحظى بلقاء الفتيات الجميلات والعبث معهن . وأما القبيحات من النساء فكان يهرب منهن ويأمر خادمته بعدم تحديد موعد معهن (٣٢) .

فأنت واجد (حماده) وقد استغل مهنة (الشعوذة والتنجيم) من أجل خداع النساء حتى يقعن فى شباكه ، ونراه وقد انتحل شخصية (جلال) وهى الشخصية الوهمية التى جعلها زوجاً لعلية فى جلسة من جلسات الدجل معها وطلب منها التقرب والتودد إليه حتى يتم الزواج بينهما .

ولما كانت عليه لا دراية لها بجلال ، فقد استغل حماده جهلها به لينتحل شخصيته ويخدعها ويرتكب معها الآثام .

وأنت واجد كذلك (عليه) التى كانت على علاقة بمنصور واستغلت هذه العلاقة للإبفاق عليها بسخاء راحت تتقرب إلى حماده الذى انتحل شخصية جلال الذى أخبرها أنه من الأثرياء ويمتلك خمس عمارات فى الإسكندرية ودمهور ورعمانة رأس من الماشية وعزبة فى أبى حمص فقبلت الزواج منه .

ونزعم أنها لم تتقرب إليه حبا لشخصيته وإنما طمعا فى ماله الذى تريد أن تستحوذ عليه .

وما صنعه (حماده) الذى انتحل شخصية (جلال) مع (عليه) من خداع وكذب عندما ادعى أنه من الأثرياء ويمتلك العمارات وهو فى الحقيقة لا يمتلك شيئا من هذه الثروات التى تحدث عنها وإنما صنع هذا ليوقعها فى شباكه ، نراه وقد اتخذها مع غيرها من النساء .

وقد وصل الانحلال الخلقى والعبث والمجون عند حماده ومنصور إلى الحد الذي نراه فيهما وقد ارتكب كل منهما الأثام مع زوجة الآخر .

«حماده : (وهو يرفع يده صارخا)

اجلسى ..

نامى .. نامى .. لا تتحركى

حفيظه : (وهى تنام وتلقى بظهرها على الكنبه)

حماده : (مسترسلا)

نامى .. نامى .. نامى

(لنفسه)

لقد نامت .. لقد نامت ..

(يمد يده ويتحسس شعرها وخديها طويلا ..)

أفتحى عينيك ... أفتحى عينيك .. انهضى

حفيظه : (تنهض سريعا)

حماده : انزعى هذا المعطف ..

حفيظه : (تنزع المعطف سريعا وتلقى به على الأرض وهى ترتعش)

حماده : والآن اقتربى منى .. اقتربى .. اقتربى

حفيظه : (تقترب منه حتى تدانيه)

حماده : (فى عنف شديد)

امسكى بكتفى ..

حفيظه : (سريعا ترفع يديها وتمسك بكتفيه)

حماده : (صارخا)

اضغطى ..

حفيظه : (تضغط على كتفيه)

حماده : اضغطى .. اضغطى .. اضغطى ..

(بفتح ذراعيه سريعاً ويحتوى جسدها فى صدره ويقبلها فى
عنف . فى حين يدخل منصور فجأة وما أن يرى المنظر حتى
يقف ذاهلاً) ..

منصور : (وهو يلطم خديه بعنف)

يخرب بيتك ..» (٣٣) .

فأنت واجد (حماده) فى هذا المشهد وقد اتخذ مهنة (السحر
والشعوذة لارتكاب المنكر والآثام مع (حفيظه) زوج صديقه (منصور) ،
وكصنيع (حماده) مع (حفيظه) ، وجدنا (منصور) وقد توطدت العلاقات
الجنسية بينه وبين (سميره) زوجة صاحبه (حماده) منذ الأيام الأولى
لزواجهما .

ونجد سميره تصرح بهذه العلاقة بلا حياء أو خجل ، وتؤكد أن ابنها
«فهى» الذى كان (حماده) يثق فى أنه الابن الشرعى له ، ليس من
صلبه ، وإنما كان نتاج خطيئتها مع صديقه منصور .

وراحت (سميره) تكشف النقاب عن هذه العلاقة فى حديثها مع
(حماده) الذى كان قد انتحل - كما قلنا - شخصية الشيخ على وأجاد
محاكاتها فى كثير من مواصفاتها إلى الحد الذى جعل زوجته (سميره)
تصرح له بما ارتكبته من آثام مع (منصور) ظناً منها أنه «الشيخ على» .

«حماده : والآن تكلمى .. ماعلاقتك بزوجك ؟

سميره : ماياشوفوش ..

حماده : أين هو ؟

سمیره : ما اعرفش ..

حماده : وأنت هل تحبينه ؟

سمیره : لا ما باحبوش ..

حماده : لا تحبين زوجك .. ؟؟

سمیره : أيوه ما باحبوش ..

حماده : هل تحبين شخصا آخر ؟

سمیره : أيوه ..

حماده : من هو الذي تحبينه ؟

سمیره : منصور ..

حماده : (مضطربا جدا)

منصور.؟؟

سمیره : أيوه منصور المقاتل .. صاحب جوزي .. اللي جوزي بيشتغل

عنده ..

حماده : منذ متى تعرفينه ؟

سمیره : من اتناشر سنه .. من أيام ما اتجوزت حماده وهو كمان بيحبنى .

بيحبنى قوى قوى .. ويصرف على وعلى ابنه ..

حماده : (فى ذعر شديد)

ابنه .. ابنه مين ؟؟

سمیره : ابنه فهمي .. فهمي دا مش ابن حماده زي حماده ما هو فاهم ..

دا ابن منصور .. واللى يعرف الحقيقة دى أنا ومنصور ويس ..

حماده : (صارخا فى جنون وهو يلتقى باللثام من على وجهه)

يا مجرمة

سميره : مسأده ا

حماده . فينهي مش ابني .. ابن منصور .. ابن حرام .. ابن زنا ...
فيهي مش ابني .. ابن جرئمة .. يارب» (٣٤) .

وهكذا ، وجدنا توفيق الحكيم وأمين يوسف غراب في أعمالهما الأدبية المسرحية ، وقد تأثرا بفلسفة (كانت) ر(بندتوكروتشبه) . وكانت مسرحياتهما صورة مستوحاة من الفكر الأوروبي في الفلسفة الذاتية بل إننا رأينا الكاتبين في أعمالهما التي عرضنا لها وقد أهملوا القيم الروحية والأخلاقية ومواضيع المجتمع . وتجسدت عاطفة الأديب في مسرحيات توفيق الحكيم وهي الأعمال التي كانت انعكاسا للتجربتين العاطفتين الفاشلتين اللتين مر بهما الكاتب وتركنا أثرا سيئا في إنتاجه .